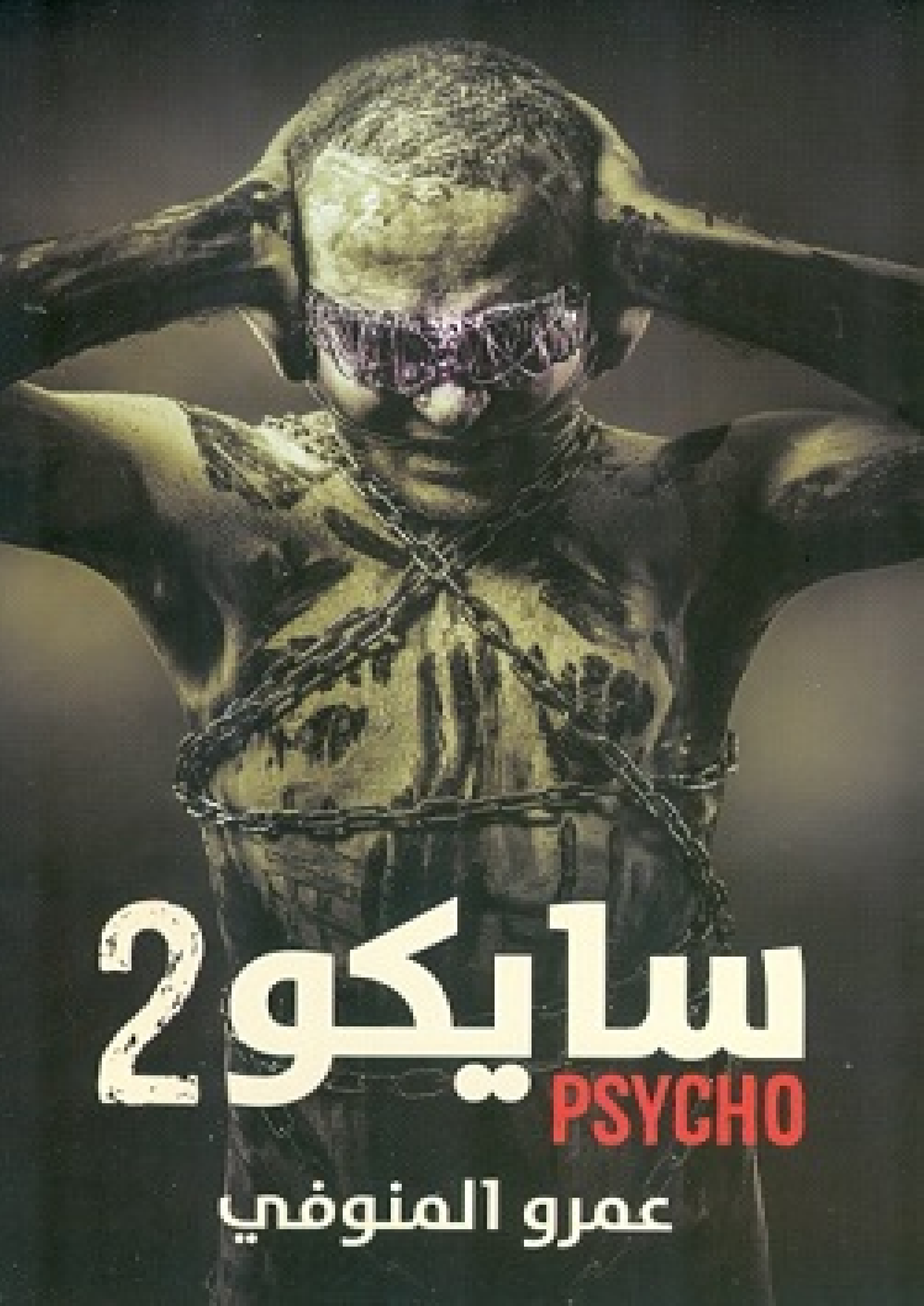


سايكو 2
PSYCHO
عمرو المنوفي


كتب PDF عربية
www.kutub-pdf-ar.com

عمرو المنوفي

سايكو (٢)

رواية



الساعة

– مرور الوقت لعنة.

– فقط عندما نعرف موعد موتنا.

* * *

– لقد مات والدك مفلسًا.

كانت هذه هي العبارة التي ألقتها أمها على مسامعها، وجعلت عينا (مها) تتسعان في دهشة، ليغزو وجهها الجميل ملامح الصدمة، وعدم التصديق؛ لتعود بالذاكرة في رحلةٍ آنيةٍ سريعة إلى الماضي، لتتأمل حياتها السابقة، وطريقة إنفاقها، باحثة عن مؤشرات توحي بالهول الذي تسمعه.

وكما توقعت؛ لا مشاهدات عن وضعٍ كارثي أو ما ينذر به، لا مؤشر واحد على أن أباها كان يمر بضائقةٍ ما.

كل شيءٍ كان على ما يرام، كل شيءٍ كان رائعًا، لم تتأثر طريقة حياتها أو إنفاقها حتى اللحظة الأخيرة في حياة أبيها، فمتى هبطت هذه الكارثة على رؤوسهم؟

الموت يجتث الأرواح لا الأموال!

ما الكارثة التي فعلها والدها قبل أن يختطفه الموت؟

هل تحدث الأشياء هكذا دون مقدمات؟

كان هذا أول احتكاك لـ (مها) بالواقع الحقيقي، ولم يكن الأمر جيداً بالفعل، وإن لم يصل ليكون كارثيّاً كما كانت تأمل، فبرغم حالتهم المادية السابقة؛ لم تكن مدللة لتلك الدرجة التي تجعلها تتذمر وتتنصل من المسؤولية.

هي على أهبة الاستعداد للمساعدة والتضحية ولكنها لا تعرف كيف!

نظرات أمها الخائفة تسحب من رصيد شجاعتها، والمستقبل المجهول يفزعها، وإيمانها بنفسها مهتز.

لم تكن لتهتم في السابق بمثل هذه التفاهات، فكل ما كانت تعرفه عن النقود أنها خلقت فقط لتنفقها لا لتجد وسيلة لتحصل عليها.

الحيرة هي الشعور الوحيد الذي تملكها، حتى استيقظت على الصدمة الثانية دون أن تتجاوز بعد

آثار الصدمة الأولى.

– هذا المنزل لم يعد ملكًا لنا، كل شيءٍ امتلكه أباك سيستحوذ عليه البنك.

عشرات من التفاصيل، والأرقام، والتعهدات بسداد قروضٍ بمبالغ خيالية، وهي أشياء لا تفهمها ولكن تعرف معناها، لقد هبطوا درجاتٍ كثيرة في السلم الاجتماعي، ربما إلى (البدروم) أو أعماق الأرض نفسها.

العجيب في الأمر أن أباها لم تظهر عليه آثار الثراء الفاحش الذي تعبر عنه أرقام القروض والأموال المطلوب سدادها.

الموقف الآن كالتالي:

هي مفلسة، وقريبًا بلا مأوى، وأبوها كان يخفي سرًّا لم يثر دهشة أمها التي لم تعد تتحدث إلا عن الساعات وعقاربها بطريقةٍ جنونية، والمطلوب منها الآن أن تتقبل كل هذا، وتتقبل نظرات صديقاتها، وتنصلهم عنها، وانتهاء أحلامٍ وردية كانت محسومة من قبل.

الآن عليها أن تفكر في حلولٍ لكل مشكلاتها، تعتاد على الحياة الجديدة، تكون لأول مرة سندًا

لأمها، والأهم أن تؤمن بقدرتها على تجاوز كل هذا.

أسابيع قليلة مرت قبل أن يستولي البنك على المنزل ذي الثلاث طوابق في المعادي، والذي قضت فيه جل سنوات عمرها؛ لتنتقل لشقة جدها القديمة بأحد الأحياء غير الراقية بقلب القاهرة.

مضت عدة أسابيع أخرى قبل أن تهدأ العاصفة، وينتزع محامي العائلة لهم بعض الأموال، وبعض الأسهم التي نجت من حملة البنك المسعورة، والتي ستؤمن لها دخلًا شهريًا محدوداً، ومصروفات الجامعة للعام القادم في أحسن الظروف، ولحسن حظها أنه العام الأخير في دراستها، وعليها أن تبحث بأسرع وقتٍ عن وظيفةٍ تساعدها على الحياة مع أمها التي هزمتها الصدمة، واستعمرها المرض النفسي، وأصابها رهاب مرور الزمن.

ولم يكن الأمر بالسهولة المتوقعة، فقد مر شهر كامل من لقائها الأخير مع المحامي، وهي تبحث عن وظيفة مناسبة، وغير مهينة، وبراتبٍ معقول، ولا يتحرش بها صاحب العمل، ولاتستنزفها صحيًا، دون أن تجد بغيتها بعد أن أعرض عنها المقربون قبل المعارف بطريقةٍ أفزعتها، وعاملوها على أثرها كالمجذومة.

كانت هذه هي الصدمة الثالثة التي تواجهها خلال فترةٍ زمنيةٍ قصيرة لا تتجاوز الثلاثة أشهر، وربما كانت أعنفها، فهي لم تكن كثيرة الاختلاط بفروع عائلتها لتعرف مقدار جحودهم.

صديق والدها المقرب (حاتم سليم) الذي لم يكن يفترق عنه؛ عاملها بطريقةٍ مهينة وكأنه يريد قطع كل صلته بها، والعجيب هي تلك الجملة التي رماها بها قبل أن يطردها من منزله:

– لقد نجاني اللّه من صحبة والدك الملعون.

كانت نذالة غير متوقعة منه، وهو الذي كان يعتبر أباها أخاه الروحي، وصاحب الفضل عليه في كل شيء.

كل الأمور مشوشة، والواضح أنها ستواجه كل عواصف الحياة وحيدة؛ لذا قررت أن تواجه مشكلاتها الواحدة تلو الأخرى، وأولويتها الآن الحصول على عمل، ثم عرض أمها التي تتفاقم حالتها على طبيبٍ نفسي كبير، وبعدها لتنتظر من الغد أن يفصح عما يخفيه لها.

كانت حالة أمها تتدهور بشكلٍ عجيب، وتصر بهوسها الذي يكاد يصل للجنون على تعقيد حياتها أكثر.

واليوم عند عودتها من رحلة بحثٍ فاشلة عن عمل، لم تخالف أمها توقعاتها، وكانت المأساة تنتظرها في صالة المنزل، حيث كانت تقبع هناك كل ساعات المنزل مختلفة الأحجام والأشكال مهشمة، وأجزاؤها متناثرة في كل مكان، وأمها بجوارها فاقدة الوعي ويدها تنزف بعد أن جرحها زجاج إحدى الساعات.

لا تعرف حتى هذه اللحظة لماذا تُقلق الساعات أمها، هل أصبحت تخشى مرور الوقت، أم تخشى الموت بعد وفاة زوجها؟

لفترةٍ زمنية لا تعرف مداها؛ وقفت أمام جسد أمها عاجزة عن التصرف، وصوت دقاتٍ غريبة، تشبه الصوت الناتج عن حركة بندول الساعة القديمة المهشمة أمامها، تتردد في عقلها، وتشوش تفكيرها.

نظرت للساعة ثم هزت رأسها، ربما هو اعتياد الصوت في السابق ما خيل إليها أن تلك الدقات مازالت مستمرة .

كانت مرهقة وروحها قد بلغت الحلقوم، وقدماها ملتهبتان من السعي طوال اليوم، وللحظةٍ تمنت وهي تشاهد صدر أمها يعلو ويهبط لو كانت جثة هامدة لتريحها وترتاح هي الأخرى، قبل أن تنفض

الفكرة من رأسها، وتستعيذ بالله من الشيطان الرجيم؛ ليتلاشى صوت الدقات مع الفكرة الجاحدة.

وعلى الفور انكبت على جسد أمها لتجعله في وضعٍ أكثر راحة، وانتهت من تضميد يدها ولفها بشاشٍ طبي معقم، ثم حملتها بمشقةٍ وأجلستها فوق مقعدٍ متحرك كان لجدها لم يتخلصا منه بعد، وبمجهودٍ شاق نقلتها إلى فراشها.

لقد ازداد وزنها في شهرين بشكلٍ مخيف. إنها تدفن أحزانها وخوفها في الطعام، وهي الطريقة المثلى لتحقق مخاوفها بنفسها، وتقربها من الموت أكثر مع كم الأمراض النفسية والجسدية التي أصبحت تعاني منها.

وما أن استقر جسد أمها فوق الفراش، حتى عاد وعيها بطريقةٍ عجيبة، أفزعت (مها)، خاصة مع تلك الصرخة التي آذت أذنها، وهي تردد بلا وعي:

– الساعات تدور للخلف.. إنه سيعود.. سيعود من أجلي.

ضمت (مها) أمها في هلعٍ إلى صدرها، وهي تسألها في حزن، وقد خيل أنها تتحدث عن زوجها الراحل:

– من هذا الذي سيعود من أجلك، لا أحد يعود من الموت يا أمي، مهما أحببناه أو تمنينا ذلك.

لم يظهر على وجه أمها أنها تستوعب ما يدور حولها، أو تنصت لحديث ابنتها؛ لذا كانت عبارتها التالية مفزعة:

– العقرب الثالث سيعود.. سيعود ومعه الموت.. لم يكن علينا أن ننجبك، لم يكن علينا أن ننجبك.

كان حديث أمها يدل على حالةٍ متقدمة من الهلاوس، وربما الجنون، أي عقربٍ سيعود، ولماذا لم يكن عليها أن تنجبها، نظرت نحوها في شفقةٍ وهي تفكر ؛ هل يتسبب فقد الأحباء في جنون أقرب الناس لهم؟

نهاية سيئة لقصة حب حقيقية استمرت لعقدين من الزمن.

أراحت رأس أمها فوق الوسادة، بعد أن فقدت وعيها مجدداً، وضغط نفسي مروع يغتال ثقتها في نفسها، وعندما هاجمها الصداع؛ غادرت الغرفة صوب المطبخ لتعد لنفسها كوبًا من القهوة المركزة كي تصمت ذلك النبض العنيف في رأسها.

وقبل أن تعبر بابه صدمها ما رأت بقلب الصالة، فالساعات المهشمة التي تركتها خلفها، والتي أدمت يد أمها كانت هناك سليمة، اثنتان منهم متوقفتان عند ساعةٍ معينة، والثالثة ذات البندول يدور عقرب الثواني فيها بطريقةٍ معكوسة للخلف، أما المفزع أكثر، فكان ذلك الظل الذي كان يتكون على الحائط ببطءٍ شديد لشيءٍ همجي وحشي غير واضح الملامح.

فركت عينيها بقوة، وهي تتأمل كل تلك الأحداث التي تدور حولها، دون أن يستوعبها أو يفسرها عقلها، وفي لحظةٍ واحدة دوت دقات الساعة في قوةٍ كأبواق الحرب، وتدفقت آلاف المشاهد غير المترابطة إلى عقلها بطريقةٍ مؤلمة، جعلت دقات قلبها تتعالى، قبل أن ينخفض ضغطها بغتة، وتغيم عيناها، وتفقد قدماها قدرتهما على حملها، وتلحق بأمها في عالم اللاوعي .

* * *

عندما عادت من غيبوبتها لأرض الواقع؛ تمنت لو أنها لم تفقد وعيها فقط بل لو فقدت حياتها أيضًا.

ففي البداية؛ كانت هناك دقات رتيبة كدقات ساعة جدها القديمة، لكن وقعها على روحها ووعيها

المضطرب كان كالمعاول التي تحاول هدم أروقة عقلها لتقودها صوب الجنون، وهذا ما جعلها تحيط أذنيها بكفيها حتى عاد لها الاتزان بعد توقف الصوت بدقائق.

وبعدها وقفت لتتأمل المكان من حولها لتصاب عيناها بصدمةٍ أخرى لا مثيل لها، فالمشهد في صالة المنزل كان يختلف عما تركته قبل أن تدوي الدقات العنيفة وتفقد وعيها، كان المشهد شنيعًا ومقرفًا ومقبضًا لأقصى حد.

فأمام ناظريها كانت جثة أمها ممزقة في عنفٍ ومتناثرة عبر المكان – فلن يرتدي مثل هذا الرداء ذو الورود الصفراء الفاقعة غيرها- والدماء التي سالت منها، أو لنقل تفجرت عنها، كانت تلطخ الأرضيات والجدران، وما تبقى منه تشربته تلك السجادة العتيقة.

الأخطر أنه وعلى بعد عدة أمتار من موقعها؛ كان هناك عقرب أسود ضخم له هيئة صناعية غريبة، يلتهم جزءاً من ذراع الجثة في نهم، ويطأ بأقدامه المشعرة، الرأس المهشمة التي تشوهت ملامحها وفقدت نصف جلدها وشعرها.

وليكتمل المشهد السريالي؛ كان يقطع الصالة ما يشبه منجل عملاق أو مطرقة هائلة، معلقة في

قلب العدم تتحرك برتابة، وتهدد بالإطاحة بعنقها عند أول لحظة تغفل فيها أو تخطو خطوة خاطئة، فبدا لها وأنها قد استيقظت بداخل فيلم رعبٍ مخيف، هي ضحيته التالية.

لقد تحققت نبوءة أمها، لم تكن هلاوس ولم يكن جنون، وهاهو العقرب قد عاد من أجلها!

عقرب حقيقي غريب الشكل، بل ويلتهم جثة أمها أمامها في هدوء، وكأنه لا يبالي بها، أو سيجعلها وجبته التالية.

هذا هو ملخص الموقف بكل حيادية. أما عن رد فعلها فكان الذهول، إنها غير مصدقة لما تراه، وتتفاعل معه على أنه حدث خيالي لا يمكن أن يحدث، فلم تصاب بالهلع بعد ولم تصرخ في هيستريا، إنها تنتظر فقط صحوتها التالية، لتتأكد أن كل ما يدور حولها مجرد كابوس وسينتهي.

نهضت من مكانها، وخطت إلى الأمام، فسمعت صوت وقع حذائها على الأرضية، نظرت للساعة فالتقطت أذناها صوت هديرها الخفيف، قرصت نفسها بقوة ، فأطلقت صرخة ألم.

الأمر ليس كابوسًا إذًا.

وهنا تبخرت لامبالاتها، وتجدد هلعها، وعاد الواقع بكل بشاعته ليحتل عقلها فتملكها رعب هستيري، وفي رأسها دوت فكرة واحدة:

لقد ماتت أمها، وستلحق بها لو لم تهرب من هذا المكان على الفور.

حركت قدميها المتوترتين في هدوءٍ كي لا تستفز العقرب فيهاجمها. وبكل حذرٍ تراجعت بظهرها صوب باب الشقة حتى وصلت إليه بالفعل، فقبضت بيدها على المقبض لتفتحه عندما دوى الصوت البارد العميق:

– لا مهرب لك اليوم.. لا أحد يهرب من قدره.

تجمدت في مكانها من الخوف، وهي تتلفت لمصدر الصوت. لم يكن العقرب ففمه ممتلئ ببقايا جثة أمها، ومنشغلًا عنها تمامًا، كما أن العقارب لا تتكلم، ولم يكن شخصًا ظاهرًا لعينيها، فترجم عقلها أنه عفريت أو شبح، إنه ليس فيلم رعب كما توهمت بل هو الجحيم ذاته .

لم يكن لديها أي نية للرد أو إقامة حوار وسط هذا الجو المسموم، ولا البكاء على أمها التي ماتت تلك الموتة البشعة؛ هي فقط عزمت على الهروب وستستمر فيه، أعصابها لن تتحمل التشتت بين

الحزن والفزع. عندما ستفر من هذا الجحيم سيكون لديها كل الوقت في العالم لتبكيها.

وهنا تردد الصوت مجدداً:

– لا بأس حاولي لن يمنعك أحد، لا أحد هنا قادر على منعك.

وهنا دقت الساعة بعنفٍ ثلاث دقات زلزلتها، قبل أن يعود الهدوء ليخيم على كل شيء، وكأن الأمر ينقصها. فتحت الباب وهي تعاني من طنينٍ في أذنيها، جعلها تتساءل عما يربط كل ما يحدث بهذه الدقات الملعونة، وقفت أمام الباب مدهوشة، فلم يكن خلف الباب، إلا مجموعة هائلة من التروس والزنابل والنوابض، وكأنها بداخل آلة عملاقة يخفيها الباب.

وبصوتٍ غير مصدق تذكرت أحد الوثائقيات التي شاهدتها عن صنع الساعات، وقالت بصوتٍ مختنق:

– إننا بقلب ساعةٍ عملاقة .

انطلقت ضحكة حادة كقرع أعمدة معدنية ببعضها، قبل أن يعود الصوت البارد:



خفي العقرب العملاق الذي مازال يلتهم في جسد أمها، وما أن أطبقت جفنيها حتى فتحتهما وهي تصرخ في هلع، فقد كانت ما رأته هو الجحيم الحقيقي لا المجازي.

لم يكن تعبيرًا أدبيًّا، بل واقع مخيف.

نيران هائلة، حمم بركانية، دخان أسود كثيف، يحيط كل هذا جزيرة صخرية معلقة تبدو وكأنها هي مصدر هذا الجحيم المستعر، و يطفو فوق الجزيرة عرش هائل يجلس فوقه الشيطان كما صورته كتابات القدماء، بقرنيه وعينيه المتوهجة، وحافريه وسحنته المخيفة.

وبكل رعبٍ واضطراب صرخت:

– أنت الشيطان؟

وجاءت الإجابة بعيداً عن كل ما توقعته:

– بل أنا الوقت.. أنا الأقوى من الحياة والموت.. أنا المنتصر الدائم.

تلعثمت وهي تقول:

– ولكني رأيت الجحيم والشيطان!



– المصائر لا تتشابه، بل تتشابك، وتصنع شبكة الحياة.

ضاقت روحها بفلسفته وقالت:

– لماذا يدور كل شيءٍ بأعماق هذه الساعة العملاقة، ولماذا هذا العقرب البطيء يلتهم أمي، ولماذا يجب أن أنصت لك؟!

صمتت مع نظرةٍ مطولة قبل أن يجيب جدها:

– الكون كله يدور بقلب الساعة، الزمن نهر كبير يحتوي كل شيء، اليوم والغد والأمس، والبداية والنهاية، ونسبية الوقت تجعل كل شخصٍ لا يشعر بمروره بنفس الطريقة، فهناك من يراه سريعًا، وهناك من يراه بطيئًا، وأمك تتشبث بالحياة لذلك، يلتهمها عقربها ببطء.

رمقته بغير فهم فأكمل:

– إن عائلتك ملعونة، فجدتك السابعة عقدت صفقة أزلية مع شيطانٍ خبيث، وسيظل يدفع نسلها ثمنها حتى يموت الشيطان، أو يفنى نسلها.

حاولت هضم كلماته، ولم تنجح فقالت:

– لعنة، أي خرافات تسوقها على مسامعي، نحن في القرن الواحد والعشرين.

ابتسم شبيه جدها في خبثٍ وقال:

– وهل وصلت البشرية إلى القرن الواحد والعشرين إلا بالسحر .

فكرت أن الأمر يتخذ منحنى جنوني، ولم تكن رائقة لهذا العبث، فقالت بصرامةٍ لا يبررها موقفها الضعيف:

– ألن تنتهي حصة ما وراء الطبيعة، وهاري بوتر هذه، وتقص علي القصة كاملة دون فلسفة؟

ساد صمت موتر للأعصاب لدقيقةٍ كاملة قبل أن يجيبها قائلًا:

– عندما أخبرتك عن السحر؛ لم أكن أتحدث عن جهلٍ أو فراغ، السحر لم ينقطع من العالم يومًا، ولكنه يمارس خلف الحجب، ويتحكم في مصائر أمم بأكملها، جدتك السابعة امتلكت بعض المعرفة بفنون السحر الأسود، ولكنها للأسف استغرقت منها ثلاثة عقود لتتقنها. وعندما أتقنتها وأرادت أن تحصل على وريث؛ اكتشفت أنها أرض جدباء، لا بذرة ستنمو في رحمها، ولكنها لم

تيأس واستخدمت نوعًا محظورًا من السحر الأسود يسمى سحر الوقت، ستهب لأحد أخبث الشياطين أعمار من يخرج من نسلها بعد العام الخمسين، ليكونوا قربانًا له، وأضحية تتقرب بها للشيطان الأكبر .

وبالفعل نجح الأمر، وأنجبت وريثة علمتها السحر، وزوجتها من شخصٍ دنس ملعون يمارس النيكرومانسي، فيستنطق الجثث بعد أن يمزقها ويلتهم أجزاءً منها.

وأساء هذا الدنس لوريثتها فاضطرت أن تقتله، فلعن كل من يقترن بالوريثة ونسلها قبل أن تفارقه الروح، فكان الرجال المصاهرون لهذه العائلة يصيبون ثراءً كبيرًا، ثم يفقدونه أسرع ما كسبوه كما حدث مع والدك، وهي حسرة كبيرة قضت على معظمهم.

ووالدك هو الوحيد من الرجال الذي عرف السر من أمك، والذي انتقل إليها عبر الأجيال، والفرق الوحيد الذي قام به أنه حاول إبطال كل هذه اللعنات الشيطانية وفشل، ودفع حياته ثمنًا لها، وفي النهاية ضاع المال مرة أخرى، فحان موعد أن تقدم أمك نفسها كقربان، وأن تحملي أنت العهد وتكملين المسيرة، وتنجبي القربان الجديد.

ساحت المعلومات في عقلها، ومن بينها نبتت فكرة قفزت من فوق لسانها إلى أذن العجوز مباشرة، وقالت:

– أمي ستكمل عامها الخمسين بعد ثلاثة أيام، فلماذا قتلها العقرب مبكرًا؟!

دوت في المكان ضحكة باردة ساخرة، قبل أن يقول الصوت:

– لا يبدو وأنك بالذكاء الكافي الذي اعتقدته بكِ، ركزي أكثر وستصلين لمغزى كل شيء.

وهنا عادت المشاهد التي تدفقت إلى عقلها من قبل، لتترتب وتتضح؛ لتأتي لها الحقيقة على طبقٍ من ذهب، من أعماق ذاكرتها الجمعية.

لقد أخبرها شبيه جدها – الذي هو ذلك الشيطان الخبيث الذي استعانت به جدتها السابعة ليمنحها الوريثة – أنها استخدمت سحر الوقت، ولذا فأمها تحلم طوال الوقت بعقارب الساعة التي تدور بشكلٍ عكسي في عد تنازلي كنذير بالموت، وبالتالي فأمها تعرف مصيرها لأنها مرت بنفس التجربة الوهمية.

نعم هي تدرك الآن أن كل ما حولها وهم، هي ليست بقلب ساعة، والعقرب الذي يلتهم أمها ببطءٍ هو الزمن الذي يمضي نحو عامها الخمسين، وأن ذلك الخبيث يهيئها لتكون الوريثة ويحضها على إنجاب وريثة. واللعنة ستستمر حتى يفنى هذا النسل، وهي مرغمة على خوض التجربة، وانتظار الموت في موعدٍ معلوم، قد تموت قبله من الرعب والهلع وحسرة تسرب الوقت منها.

زوجها سيكون ملعونًا، وابنتها ستحمل لعنتها، وذلك الشيطان يتسلى بها، وهي لن تخضع لكل هذا إنها ترفض كل هذا.

وبكل ما بداخلها من نفورٍ صرخت بقوة، فزلزلت الصرخة عقلها، وشعرت بجسدها يهوي في هوة سوداء عميقة لا قرار لها، قبل أن تستيقظ في صالة منزلها، وتراها كما تركتها، بساعتها المهشمة وآثار الدماء.

وعلى الفور استرجعت كل الأحداث وفكرت، هل أصيبت أمها عرضيًا، أم حاولت الانتحار.

هل انتظار الموت يخيف، أكثر من وقوعه؟

لقد دمرها مرور الوقت، فاختارت الموت الذي أرادت بشغفٍ أن تهرب منه.

إن لعنة جدتها ستطاردهم ما لم يجدوا حلًا سريعًا، وقبل مرور الثلاثة أيام.

مصير والدها يحبطها، بعد أن جند معظم ثروته لإفشال هذه اللعنة، فنفر منه وكرهه أقرب أصدقائه، وهنا دوت في رأسها الفكرة .

وعلى الفور ظهر ذلك الشيطان بهيئته الحقيقية التي رأتها في عقلها، بداخل تلك الجزيرة النارية.

لقد أيقن أنها وصلت إلى حل.

حل لم يأت في عقل من سبقها من نسلها.

كان الحل يحتاج منها تضحية كبيرة لتنقذ أمها، والتضحية ليست أقل من حياتها.

فكي يستمر العهد لابد من التضحية بالوريثة الأم لتكمل مسيرتها الوريثة الابنة، وبالتالي لو ضحت الابنة بحياتها، ينكسر العهد، وتحظى الأم بحريتها، حتى تموت ميتة طبيعية لا دخل للعناتِ فيها.

كان حلًا مخيفًا.

وهنا دوى صوت الشيطان في عقلها قائلًا:

– وكفر أيضًا.

تجاهلته فعاد الصوت يدوي:

– مازالت صغيرة على الموت، الوقت أمامك، تخيلي أن تعرفي موعد نهايتك، إنها ميزة كي تختميها بما يضمن لك البعد عن الجحيم.

تجاهلته مرة أخرى وهي تتوجه صوب غرفة أمها، فوسوسة الشيطان لن تردعها، فربما يحين موعد موتها بعد مائة عام وربما بعد دقيقة، كل ما تفكر فيه الآن أن ترحم أمها من ذلك الهول الذي تعيشه باقترابها من الموت طوال حياتها، لعل سنواتها الأخيرة تكون أكثر رأفة بها، فما ذنبها بفجور جدتها.

كانت أمها ممددة فوق الفراش، اقتربت منها قبلتها ومشاعر الشفقة عليها تغتالها، لقد كان مصيرًا بشعًا كانت تحياه مع حكمٍ مؤجل بالإعدام.

لذلك لم تدللها أمها، وكانت ترغب دائمًا في جعلها قوية، ودائمة الاعتماد على نفسها، لتعدها لمصير مشابه.

تأملتها لثوانٍ قبل أن تلاحظ أنها لا تتحرك.. صدرها لا يعلو ولا يهبط بميكانيكا التنفس.

قبضت على يدها لتقيس النبض، أنصتت لصوت قلبها، لا شيء.

لقد ماتت أمها من الخوف.

وفي عقلها دوت ضحكة الشيطان، وصوته الشامت يردد:

– لا أحد يفلت من سحر الوقت.

نظرت نحوه بكراهيةٍ وقالت:

– ولكنها هزمتك.. وهزمك علم الغيب الذي لا يملك مفاتيحه إلا اللّه، وأنا سأهزمك وأبطل لعنتك.

دوى الصوت في عقلها غاضبًا:

– لن أسمح لك بالموت.

قالت في شماتة:

– لو منعته عن أمي لمنعته عني، ولكني لن أقتل نفسي وأكفر برحمة خالقي، سأقتل لعنتك ولن تكون هناك وريثة.

الصوت الكاره يردد:

– لن تتزوجي إذاً.

صمتت ولم تجب. وعندما غادر المكان، وزال حضوره الكريه؛ انقضت على جثة أمها وضمتها في قوة، كانت تستمد منها الأمان الذي لم تعد تشعر به. ولن تشعر به.

ووسط الصمت لم يكن هناك صوت، غير دقات ساعةٍ قديمة مهشمة، تعلن أن شيطان الوقت لن يتركها لتهنأ بحياتها.

أما هي فكانت تفكر في طفلةٍ ستحرم منها، بعد أن تزيل رحمها، فإن كانت ستتحمل مثل هذا الهول، فستنقطع عندها اللعنة..

اللعنة التي ستذكرها كلما رأت عقارب ساعة تتحرك أمامها، ليلتهم من عمرها المزيد من الوقت.

احتواء

– سيفنى العالم يومًا، على يد كائناتٍ لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

– العالم ذاهب في مصيبةٍ على كل حال، بها أو بغيرها.

* * *

ارتفعت درجة الخطر إلى المرحلة الخامسة برتقالي، ولم يتبق إلا درجة واحدة ليصل إلى الأحمر. ليبلغ الخطر المرحلة السادسة التي لا رجعة بعدها، وتبدأ عملية الاحتواء وتنفيذ الخطة (أ) فائقة السرية والخطورة.

لقد بدأ الوباء في تلك البلدة الجنوبية الصغيرة بالقرب من الحدود المكسيكية، ولم يكن الأمر سري أو مفاجئ!! فتم حصر الوباء بداخل البلدة.

لذا نرى تلك البلدة الحدودية محاطة بقواتٍ هائلة من الجيش بكامل أسلحتهم، يرتدون ثيابًا خاصة تقيهم من الإصابة والعدوى، ولديهم تعليمات مشددة بالسيطرة على الوباء والتعامل مع المتسللين بكل حزمٍ ودون استثناء أحد، ووقف انتشاره مهما كان الثمن.

وعبارة مهما كان الثمن هذه لا تعني إلا شيئًا واحداً. تنفيذ الأمر بغض النظر عن فداحته أو تكاليفه،أو ردود الفعل الناتجة عن تنفيذ القرار.

بمعنى آخر لا أولوية إلا احتواء الوباء القاتل!

بدأ الأمر في أحد المعامل السرية بل فائقة السرية، حيث تصنف المعامل المماثلة حسب درجات خطورتها، ونوعية الأسلحة التي تنتجها. وهذه المعامل كانت في أعلى القائمة، حيث تمارس فيها قوات الجيش تجاربهم البيولوجية لإنتاج أسلحة دمارٍ شامل فيروسية خاصة، تحت رعاية وزارة الدفاع، ومخصصاتها الهائلة تخضع لبند المصروفات السرية.

ولكي نحيط بالأمر وتداعياته يجب أن نعود ليومٍ واحد فقط إلى الخلف. يوم واحد فقط كان الفيصل بين الموت والحياة.

والبداية كانت في القسم (ج).

والقسم (ج) لمن لا يعرف هو أشد الأقسام سرية وخطورة وأكثرها أهمية. إنه القسم المدلل بميزانيته الغير محدودة، وعلمائه الفائقي العبقرية، وصلاحيتهم التي لا سقف لها.

ففي هذا اليوم كان التوتر هو الشعور السائد و المسيطر على كل العاملين بالقسم (ج) من علماءٍ وفنيين وعسكريين. ففيه سيتم إجراء التجربة الكبرى والأولى من نوعها. حيث سيتم في إطارٍ مقنن ووسط جو من الترقب والحذر. حقن أحد البشريين المخصصين للتجارب، وهو بالمناسبة مجرد مجرم فاقد الأهلية حكم عليه بالإعدام في عدة جرائم، وتقرر تخصيصه لهذه التجارب. فهكذا لا يكون موته دون فائدة، ويساهم رغماً عنه في حماية الوطن الذي أساء له كثيراً بخروجه عن القانون.

هل هي تجارب غير إنسانية؟!!..

بالطبع هي تجارب غير إنسانية وشديدة القسوة والأهمية كذلك، ولتذكروا جيداً بأنني لم أخبركم مسبقاً بأننا إحدى لجان حقوق الإنسان. إننا جهة عسكرية تسعى لإنتاج سلاحٍ بيولوجي لا يقهر، ثم من قال إن هذا المجرم يستحق أي شفقة بعد أن حكم عليه بالإعدام.

إن كان سيموت فلِمَ يكون موته بلا طائل؟!، على الأقل الآن سيموت في سبيل هدفٍ نبيل، وهذا يكفي جداً لنتعامل معه بضميرٍ مستريح.

ثم إن قانون العقوبات الجديد أقر باستخدام المحكوم عليهم بالإعدام في التجارب التي تسعى لخدمة المجتمع، والنهوض به كوسيلةٍ رادعة لتقليل معدلات الجريمة التي ارتفعت مؤخراً.

كان محور التجربة الأساسي هو حقن عوائل مختلفة بالبكتريا الفضائية وحيدة الخلية، والتي تم العثور عليها في أحد الكواكب السيارة الهاربة من حزام الكويكبات بين مداري المريخ والمشتري، والتي كانت تدور حول الكوكب ذو الحلقات المضيئة جميلة الشكل زحل.

ورغم أهمية الأمر والمكاسب التي كانت ستحصل عليها وكالة (ناسا) من إعلان هذا الخبر، وتكليل جهودها بالعثور على الحياة غير البشرية، وللمرة الأولى في الفضاء الخارجي. إلا أن الآراء اجتمعت على تأجيل الأمر لحين إنهاء كافة التجارب على وحيدات الخلية المكتشفة.

وبدأت التجارب الأولية دون تردد.

فئران التجارب وقردة الريسوس والنسانيس والقردة السنجاب، والقردة البومة وخنازير غينيا، وحتى سمكة الحمار الوحشي كانت قابليتها للتجارب ضعيفة، وتنتهي بموت موضع التجربة فور ظهور الأعراض..

فالأمر يبدأ مع حيوانات التجارب بتشنجات، ثم قيء دموي، ثم يصيبها لوثة عنيفة و تموت بعدها دون سببٍ واضح.

تم تغير أنماط الحرارة والوسط المحيط بل ومواضيع التجارب ذاتها، فتم استبدال الأنواع السابقة بأنواعٍ أخرى مختلفة، ديدان وذباب وأرانب ونمور وثعابين وعناكب وعقارب.. دون تبدل ملموس في تطور نتائج التجارب.

فقط التغير الوحيد والضئيل الذي تم رصده كان في فئة الطيور، وهو تطور غير مشجع واقتصر على طبيعة أجسادها بعد الموت، فقد كانت جثثها تتحلل في فترةٍ أقل دون معرفة سببٍ منطقي لذلك!!

وتم إصدار الأمر فائق السرية باستئناف التجارب والانتقال لمرحلة العائل البشري.. وكان الأمر مذهلًا!!!

في البداية كانت نفس الأعراض تتكرر.

السيناريو يتم بالكامل مع اختلافٍ بسيط ومذهل.

تشنج و قيء؛ يتبعهما مرحلة من الهدوء النسبي، ثم تعود التشنجات أشد وأعنف، مع حالة هياج

عنيفة تستمر لدقيقةٍ كاملة، ثم يستقر جسد العائل البشري، وتبدأ سلسلة من التفاعلات الداخلية.

وعبر مجموعة من المجاهر الإلكترونية الحديثة والتي تفوق تكنولوجيتها ما هو موجود بالخارج بخمسة أجيال على الأقل، كعادة التكنولوجيا العسكرية المتفوقة، تم متابعة سلسلة التغيرات الهائلة الحادثة، والتي بدأت مع حقن البكتريا الفضائية في جسد العائل.

وعبر الشاشات الإلكترونية الضخمة شاهد الجميع التحول .

فبمجرد حقن البكتريا وحيدة الخلية في جسد العائل وسريانها في الدم؛ كونت البكتريا الفضائية حولها أغلفة خادعة جعلتها أشبه بخلايا الدم الحمراء، وقبل أن تهاجمها خلايا الدم البيضاء كانت قد هاجمتها ودمرتها، ليفقد العائل جهاز مناعته في ضربةٍ واحدة ثم بدأ الغزو.

فرضت البكتريا الفضائية سيطرتها على خلايا العائل، وأجبرتها على العمل للمحافظة على بقائها على حساب جسد العائل، وخلال عدة دقائق كانت البكتريا الذكية كما وصفها أحد العلماء قد

سيطرت على جسد العائل في نشاطٍ ملحوظ وإن كان نشاطها الغريب يحدث في خلايا المخ..

لقد لاحظ العلماء أن هناك عملية تبادل وإحلال كهربي تتم عبر خلايا المخ، وتنتهي عند تجمعات عجيبة من البكتريا الفضائية.

الأمور تتطور بسرعةٍ مذهلة تكاد تجعلها خارج السيطرة. فلم يكن هناك بد من اتخاذ القرار العاجل بوقف التجارب لحين الانتهاء من التقرير المبدئي، وحصر النتائج، وصدور الأمر بالانتقال للمرحلة التالية.

النظام الساري في المعامل السرية هو الأشد صرامة في المنظومة كلها. سيف مسلط على أعناق الجميع ولا توجد استثناءات.

فلا يمكن التقدم في إحدى التجارب، أو إنهائها إلا بأمرٍ مباشر من اللجنة المشتركة، إلا في حالاتٍ قهرية كحدوث طفرة، أو استحداث خطر يهدد الأمن العام وحياة العلماء.

وقتها يجب السيطرة على مصدر الخطر، وإطلاق صافرة الخطر الصامتة لتبدأ عملية الاحتواء.

في هذا العصر لم يعد للصراع الدائم بين العسكريين والعلماء أي أثر، الكل يعمل من خلال منظومة صارمة شديدة التعقيد ولا أحد يجرؤ على مخالفة الأوامر إلا تحت طائلة الموت.

وبخطواتٍ مدروسة ومعروفة مقدمًا تم تجميد العائل وتقليل الأكسجين في الجو المحيط به، وذلك بعد أن تم وضعه في غرفةٍ معزولة ومؤمنة وتحت المراقبة. للسيطرة على نشاطه ونشاط البكتريا المجهولة، لحين بدء المرحلة الجديدة، أو إنهاء التجربة بقلب الأفران الإشعاعية المجهزة.

سيتساءل الجميع الآن؛ كيف بدأت المشكلة في الظهور والتفاقم، في ظل هذا النظام الأمني المحكم شديد الصرامة؟!

لو راجعنا النظام بالكامل لوجدناه شديد الدقة والإحكام ويشرف عليه أجهزة كمبيوتر فائقة التطور، حتى العنصر البشري من علماءٍ وفنيين ملتزمين بنظام العمل ونظم الوقاية.

وبرغم كل هذا؛ احتوى النظام الفائق المحكم على ثغرة كبيرة تكفي لعبور جيش كامل. وهذه الثغرة هي تلك البكتريا الفضائية المجهولة القادمة من كويكبات زحل!!



الكائنات الفضائية عرفت وتعلمت وتكاثرت وحفظت ووثقت ما في ذاكرة ذلك المجرم.

هناك عالم ضخم بالخارج..

عالم سيساعدها على التكاثر والانتشار والنمو والتطور..

عالم به مليارات من العوائل التي ستكون مهمتها الحفاظ على وجود هذا الجنس حتى تفنى عن بكرة أبيها.

لم تسجل كاميرات المراقبة عملية الهروب، ولا أحد يعرف كيف غادر العائل القسم (ج)، فالمعمل، فالقاعدة العسكرية كلها، وكأنه تبخر أو صار غير مرئي.

ليبدأ الوباء.

كانت أعراض الوباء الأولية تشنجات وقيء، ثم هيجان فسكون يتبعه جمود في الملامح، وكأن كل المصابين أصبحوا روبوتات أو آلات مبرمجة، قبل التحول الوحشي والخطير .

أصبحت البلدة الحدودية تعج بأصحاب الوجوه الباردة كالثلج، والمشية المتصلبة المتخشبة،



إلكترونيّا وإرسالها إلى اللجنة الطارئة المنعقدة طوال الوقت في وزارة الدفاع.

ودلت الخريطة الحرارية التي يبثها القمر الصناعي العسكري على تفاقم الوضع.

تسعون في المائة من السكان أصيبوا وأصبحوا عوائل والأعداد في تزايدٍ مطرد، ولا وسيلة قريبة لصناعة مصلٍ مضاد، ولم يجد القادة في وزارة الدفاع حلّا غير اللجوء لتسلسل الاحتواء، بل الخطوة الأخيرة منه والتي يطلق عليها التطهير .

الأحزمة الأمنية كانت تقوم بعملها في كفاءة، فقد قضت وحدها على ما يفوق الستة آلاف مصاب..

لكن الأمر لن يتحمل إضاعة وقتٍ أكبر، لابد من إنهاء الأمر وتفعيل الخطوة الأخيرة، وكانت تواجههم مشكلة أخيرة، وهي المعامل السرية التي تكلفت مليارات، والتي تحتوي على نتاج عدة عقود من التجارب.

إن فقدان هذه المعامل يعني خطوة بل عدة خطوات إلى الخلف في طريق التقدم والبحث العلمي.

فخطة الاحتواء كانت تقضي باستخدام قنبلةٍ حديثة شديدة التدمير، ستسحق كل شيءٍ حتى المعامل المحصنة.

فالقنبلة (x-delta) كانت ومازالت أقوى الأسلحة السرية وأكثرها فاعلية وقدرة على التدمير التي تحتوي عليها الترسانة العسكرية المتطورة.

لن يتبقى من البلدة بعد إطلاقها إلا مساحة هائلة من الأرض مشوهة جدباء، فقدت تماسكها وخصائصها، وستظل لعشرات السنين شاهدة على بطش البشر وقوتهم.

لذا لم يكن هناك بُد من تنفيذ جزءٍ فرعي جديد أضيف لخطة العمل، وعن طريق عملية منظمة فائقة السرعة والسرية، قامت قوات اختراق خاصة بالدخول إلى المعامل السرية، وإجلاء العلماء الأصحاء بعد التأكد من حالتهم وخلوهم من الإصابة، وإجلاء بعض الأجهزة الخاصة بتجاربٍ أخرى تصنف تحت أعلى درجات السرية.

وفي محورٍ آخر قام فريق من الخبراء والفنيين بنقل كافة المعلومات الفائقة السرية إلى جيلٍ متطور من أجهزة التخزين بشفرات تصل إلى ٢٨ارمز، وتم الإجلاء في ناقلات جنود عملاقة مخصصة لمثل هذه العمليات.

كل شيءٍ منظم ومرتب وحتى أسوأ الأمور موضوعة في الحسبان.

وفي النهاية تم إصدار أمر الاحتواء.

وانطلقت قاذفة القنابل (B-١١٧) التي يطلق عليها المطهر لتنفيذ الأمر .

فتم تحديد منطقة الهدف بواسطة الأقمار الصناعية فائقة الدقة، كما تم إرسال شفرات التسليح عن طريق الأقمار الصناعية لكمبيوتر الطائرة المتطور دون وسيط، وانطلقت الطائرة نحو الهدف مباشرة.

والمعلوم أنه في مثل هذه العمليات يتم تحييد كمبيوتر القيادة عن كل الاتصالات، فصدور الأمر يعني وجوب التنفيذ، ولا طريقة يدوية، أو إلكترونية لإيقاف عمل القنبلة، أو تعديل مسار القاذفة.

في البداية حددت الأقمار الصناعية منطقة الهدف بدقةٍ متناهية لا نسبة للخطأ فيها، وعن طريق الكاميرات المتطورة جرى رصد وتوثيق عملية الإطلاق خطوة خطوة.

في الساعة ٢٠٠١بالتوقيت العسكري تم إلقاء القنبلة من ارتفاع عشرة آلاف قدم فوق البلدة، ثم استخدم

الكمبيوتر الاستراتيجي السرعة الفائقة في عملية الانسحاب المنظمة، في حين أخذت القنبلة تهبط بالمظلة كشيطان واثق من قدراته.

وقبل أن تصل القنبلة إلى الأرض بألف قدمٍ بدأ تسلسل الانفجار، وعلى ارتفاع مائتي وخمسين قدم حدث الانفجار المروع، وانطلق المارد من عقاله.

وحشًا هائلًا من النيران انطلق، يصحبه موجتان كاسحتان من الطاقة الصافية والضغط المروع؛ اندفعتا بكامل قوتيهما نحو الأرض كإعصارٍ هائل شديد الغضب وغطت الطاقة الهائلة مساحة البلدة بالكامل، وتجاوزتها إلى ثلاثة كيلو مترات كاملة، وسحقت معها الأحزمة الأمنية الإلكترونية.

ولولا انسحاب القوات العسكرية في الحزامين الرابع والخامس، فور صدور أمر الاحتواء، لتحولوا إلى أثرٍ بعد عين كما حدث للغابات المجاورة التي بخرتها طاقة القنبلة شديدة التدمير .

منطقة الانفجار تحولت في غمضة عين إلى حفرة سوداء هائلة، ولم يعد في هذا المكان أي أثرٍ يدل على وجود حياةٍ سابقة، أو أي نشاط إنساني ظهر على سطحها عبر العصور.

لقد فتت القنبلة المباني، وبخرت البشر والحيوانات والنباتات، ومحت جزءاً من خريطة الولايات المتحدة.

كانت هذه القنبلة وحشًا مروعًا، ولكنها كانت الوسيلة المثلى والوحيدة لاحتواء الوباء الفضائي القاتل.

لقد نجحت المهمة بنسبة ١٠٠% كما أتى في تقرير الكمبيوتر الاستراتيجي الملحق بالقمر الصناعي العسكري.

لقد تم الاحتواء برغم الخسائر الهائلة في الأرواح والممتلكات.

وتنفس الجميع الصعداء.

ولكن هل انتهى الأمر ؟

* * *

بعد عدة ساعات، وعبر هاتف أقمار صناعية شديد التطور مزودة بأحدث وسائل منع التتبع والتصنت، تمت هذه المكالمة المريبة.

ألفا: ما هي التطورات عندك؟!

بيتا: تم احتواء الوباء.

ألفا: كيف تم ذلك؟!

بيتا: سلاح جديد رهيب.

ألفا: نريد كل المعلومات المتوفرة عنه بأقصى سرعة.

بيتا: المعلومات جاهزة.

ألفا: إذاً لترسلها عبر الوسائل المعتادة.

بيتا: لا يمكن!!

ألفا: لماذا؟!

بيتا: توجد هدية إضافية.

ألفا: حدد نوع الهدية!!

بيتا: عينة من زحل.

ألفا: ممتاز ..انتظر التعليمات.

بيتا: أنا منتظر لكن لا تتأخروا.

ألفا: لن نتأخر ..

جميلة

– هل تعرف لماذا يلوم الناس الضحية؟

– لأن معظم المنكسرين لا يدافعون عن أنفسهم.

* * *

– هل أنا جميلة؟

قالتها بصوتٍ رقيق يتدرج بين الدلال وبين الصرامة، فرمق (رامز) وجهها المشوه في خوفٍ قبل أن يزدرد لعابه في صعوبة، وهو يلمح تلك النظرة المجنونة في عينيها بعد أن قيدته إلى مقعدٍ غير مريح، و تركته ليومٍ كامل وحيداً، يعاني الخوف والهلع في ذلك المنزل النائي المهجور شحيح الهواء كريه الرائحة، الكائن على أطراف البلدة.

حاول أن يتحدث ولكن خوفه وجفاف حلقه منعاه من أن ينبس ببنت شفة، فكانت الصفعة التي زلزلته، مع صوتها العابث:

– هل أنا جميلة؟

جميلة

– هل تعرف لماذا يلوم الناس الضحية؟

– لأن معظم المنكسرين لا يدافعون عن أنفسهم.

* * *

– هل أنا جميلة؟

قالتها بصوتٍ رقيق يتدرج بين الدلال وبين الصرامة، فرمق (رامز) وجهها المشوه في خوفٍ قبل أن يزدرد لعابه في صعوبة، وهو يلمح تلك النظرة المجنونة في عينيها بعد أن قيدته إلى مقعدٍ غير مريح، و تركته ليومٍ كامل وحيداً، يعاني الخوف والهلع في ذلك المنزل النائي المهجور شحيح الهواء كريه الرائحة، الكائن على أطراف البلدة.

حاول أن يتحدث ولكن خوفه وجفاف حلقه منعاه من أن ينبس ببنت شفة، فكانت الصفعة التي زلزلته، مع صوتها العابث:

– هل أنا جميلة؟

كان وقع الصفعة على روحه كاسحًا؛ لذا أجاب في سرعة:

- نعم أنت جميلة.

عاد صوت الصفعات ليدوي مجدداً ويشعل وجهه، مما جعله يتساءل متألماً عن مصدر قوة صفعتها، وهي الفتاة الهزيلة النحيلة، التي ما أن انتهت من صفعه حتى قالت:

- إن صوتك يموج بالكذب، لابد أن تقنعني بأني جميلة، هل يسبب تشوه وجهي لك أي مشكلة؟!

كان يريد أن يصرخ بها وأن يسبها كما اعتاد دومًا، ولكنه الآن في موقفٍ لا يحسد عليه، ووجهه مازال ينبض من ألم الصفعة، فقال:

- بالطبع لا يسبب لي أي مشكلة، إن جمال الروح أهم من...

وقبل أن يكمل كانت قد انهالت على أصابع قدمه اليمنى بقطعة معدنية كانت موضوعة بجوارها؛ ليصرخ (رامز) في هلع، ويردد دون وعي:

- أنت جميلة.. أنت جميلة.. أقسم لك برأس جدي أنك كذلك.

تفرست في ملامحه بصمت، وهي تحرك بين يديها تلك القطعة المعدنية الحادة، مما جعل سائل ساخن يتسرب من سرواله، معبرًا عن فزعه، قبل أن تقول بصوتٍ مخيف:

– لم يعد في روحي جمال، كما لم يعد في وجهي مثله، فكيف تراني جميلة أيها الوغد؟

وتبعت حديثها، بأن هوت بتلك القطعة المعدنية على إصبع سليم آخر في قدمه؛ ليصرخ حتى كادت روحه تغادر جسده عبر حلقه، وهو يقول في هلع:

– أنت جميلة يا (رحاب).. بل أجمل فتاة وقعت عليها عيناي منذ رأيت نور الحياة.

ابتسمت في سخرية، وهي تنظر نحوه في غل قبل أن تقول:

– فتاة.. يالك من وغد ونذل.

كان يتوقع الضربة التالية مع حديثها الكاره، ولكنه لم يتخيل أن تتسبب في بتر إصبعين من أصابع قدمه اليسرى، ولا أن تكون مؤلمة لهذه الدرجة.

لذا لم يتوقف لدقيقتين عن الصراخ والنحيب حتى بح صوته، وأثناء ذلك كان ينظر لأصابعه المبتورة

في حسرة.

كان يعرف أنه قد عامل (رحاب) بقسوة بعد أن غرر بها، كان شابًا والهرمونات تعبث في جسده، ونيران الرغبة تصرعه، فلم يجد إلا (رحاب) المشوهة ليلقي بشباكه عليها.

(رحاب) التي لم تصمد أمام الكلام المعسول والاهتمام الذي لم تشعر به من قبل مع حالتها الصعبة.

(رحاب) التي منحته الأمان فغدر بها، وأفقدها أعز ما تملك، بل وأهانها عندما أخبرها ألا تخشى شيئًا فلا أحد سيطلب مثلها للزواج، وعليها أن تطيعه كلما رغبها وإلا تسبب في فضيحتها..

(رحاب) التي امتثلت له، ونالت الفضيحة رغم كل شيء.

لقد كان وغدًا زنيمًا معها، ولكنه لم يتصور أن تكون بهذا الجنون، فتعمد إلى اختطافه وتعذيبه.

قطعت (رحاب) أفكاره، فبددت الصمت وهي تخرج من جيب ردائها صورة لممثلة كانت قد قصتها على شكل قناع، قبل أن ترتديه على وجهها وتسأله مجددًا:

– هل أنا جميلة هكذا؟

تردد كثيراً في الإجابة، فألم قدمه المهشمة وأصابعه المبتورة يكاد يطيح برأسه، فهل يخبرها أنها هكذا أجمل، أم أن وجهها أجمل؟!

كانت فكرة القناع فكرته، ليتلافى أثناء العلاقة الحميمة ملامحها المشوهة.

لقد سحق كرامتها يوم أن عرض عليها فكرة ارتدائها لهذا القناع البدائي، ولكنها أطاعته وارتدته رغم شعورها التام بالإهانة، لكنه كان وغداً ولا يهمه غير إطفاء نار جسده المستعرة.

وبصوتٍ مضطرب متوتر، أجاب برد دبلوماسي:

– أنت جميلة في كل حالاتك.

بدا عليها تفكير عميق، قبل أن تنزع القناع لتعيده لجيبها، وهي تقترب بملامحها المشوهة من وجهه قائلة:

– إذاً هذا الوجه يروق لك.

رد بسرعة:

– نعم يروق لي.. إنك يا (رحاب) جميلة، ووجهك جميل.

ابتسمت ابتسامة باهتة أخفتها التجاعيد وآثار الجلد المحترق وقالت:

– أشعر بنبرة صدقٍ في صوتك.

قاطعها قائلًا:

– إنه جميل، وأنا صادق لأنه كذلك.

رمقته في صمتٍ لدقيقة كاملة احتبست فيها أنفاسه، وهو يرمق القطعة المعدنية الحادة في فزع، قبل أن يأتي صوتها العابث:

– إذًا أنت تراه جميلًا.

هز رأسه مؤمنًا، فأكملت:

– هل تريد وجهًا جميلًا مثله؟

نظر لها بهلع دون أن يجيب، لتهوي القطعة المعدنية على قدمه لبتر إصبع آخر لينزف المزيد من الدماء، وليصرخ في قوة متمنيًا أن يغيب عن الوعي، حتى تنتهي منه فهو لن يتحمل المزيد من الألم.

ولكن فقدانه لوعيه كان حلمًا لم يتحقق، وظلت هي أمامه جاثمة كالكابوس، بل وتردد صوتها الكريه في أذنيه:

– لا تكن طفلًا سخيفًا وتوقف عن البكاء، وأجب حبيبتك (رحاب)؛ هل تريد وجهًا جميلًا مثله؟

كان الألم قد أفقد عقله القدرة على التفكير، فكان بين نارين.

أن يجيب فتشوه وجهه أو يصمت فتمزق أطرافه، خياران كلاهما جحيمي ولن يقبل عقله بأي منهما.

استغرقت أفكاره بعض الوقت، كان يغمض أثنائها عينيه من الألم، وعندما فتحها وجد عينيها أمام عينيه، تتأمله عن قرب، فاحتبست أنفاسه وظل صامتًا حتى تحدثت هي وقالت:

– هل تعرف كيف أصبت بهذه الحروق؟!

هز رأسه نافيًا فأجابت:

– لا شيء كثير لأقصه عليك، فورة غضب من زوج أمي لأني تأخرت عليه في إعداد الشاي، فقام غاضبًا ليطيح بموقد الكيروسين نحوي؛ لتمسك النار في وجهي وجسدي، لم تكن أنت الوغد الوحيد في

حياتي وقد حان الوقت ليدفع كل من أخطأ في حقي الثمن؛ هل تعرف لماذا أبدأ بك؟

هز رأسه مرة أخرى في خوف، فقالت بمرارة:

– لأني أحببتك.. هل تتخيل هذا.. أحببت وغداً رجيماً مثلك، تأنف أي فتاه طبيعية أن تنظر له، وغد كان كل هدفه أن يطفئ شهوته، ولكنك للأسف ودون أن تدري أشعرتني بأني أنثى ومرغوبة وبأنني على قيد الحياة، هي أشياء لن يفهمها وغد مثلك ولكنك تستحق أن تكون البداية؛ فهل يسعدك الأمر؟

هز رأسه هزة غير مفهومه وكأنه ابتلع لسانه، فعادت لتكمل:

– لقد أحببتك بحق؛ ولأنني حبيبتك فسأمنحك الخيار أن تختار؛ حياتك أم وجه مماثل؟

انتفض جسده مع التهديد المباشر، لقد بلغت معه المرحلة الأخيرة سريعاً.

حاول أن يمزق قيوده فأصابته الحركة بآلامٍ مضاعفة.

حاول أن يرقق قلبها عليه ويعدها بالكثير، ولكنها واجهت حديثه بضربةٍ جديدة هشمت له الركبة

اليمنى وجعلته على مشارف فقدان الوعي.

ومن وسط دموعه رآها تقترب منه وتعتليه؛ ليلتصق صدرها بصدره قبل أن تقول في دلال:

– حبيبي.. لم أسمع قرارك بعد.. ألا تريد أن تكون جميلًا مثلي؟

وتبعت حديثها بإخراج زجاجةٍ بلاستيكية صغيرة من جيبها؛ لتحركها أمام عينيه..

رأى (رامز) تلك الزجاجة فأصابه الهلع، إنها لم تكن تهدد فقط بل تنوي على التنفيذ..

تخيل نفسه وماء النار يذيب وجهه.

تخيل أن يعاني نفس معاناتها، وأن يسير في الشوارع بوجهٍ يأنف منه الجميع.

أدرك مقدار معاناتها.

أدرك كم حقارته.

أدرك مصيره الأسود البشع، فترسخ في ذهنه أن الموت أهون من أن يعيش هكذا.

وبكل ما في داخله من رغبةٍ في الفرار، قال:

– لا أريد وجهًا مماثلًا.. لا أريد.

وهنا انتفضت من فوقه، وحدثته بصوتٍ لائم:

– لقد خدعتني مرة أخرى.. ولا تراني جميلة.. والكاذب مصيره النار.. أم لم تكن تعرف هذا يا حبيبي!

كاد قلبه يتوقف عندما فتحت غطاء الزجاجة، واقتربت منه فصرخ فيها:

– إلا ماء النار .. إلا ماء النار .

ابتسمت ابتسامتها الباهتة، قبل أن تقول بصوتٍ رقيق:

– لم أحترق بماء النار يا حبيبي.. هل نسيت؟! إن هذا كيروسين؛ هل تعرف فائدته؟!

قالتها ثم غمرته بما في الزجاجة من سائل، وهي تستطرد:

– إن فائدته أنه يشعل نارًا سريعة تلتهم الجسد.. لن تحظى بوجهٍ جميل فقط كوجهي.. بل ستحظى بعقاب الخائن والكاذب.

وبكل هدوءٍ أخرجت علبة ثقاب و(رامز) يتابعها في هلع، لم يكن يصدق ما حدث.

لم يكن يصدق أن تلك الضعيفة عندما يٌكسر قلبها ستتحول إلى هذا الوحش الذي لا يعرف الرحمة.

كان يسمع من أمه دائمًا؛ أن كسر قلب المرأة يمنحها قوة ألف ذئب مصر على الانتقام.

وها هي تنتقم منه؛ لأنه عايرها بإعاقتها ولم يقدر حبها؛ ولأنه فضحها حتى أصبح الكل يطمع في هذا الجسد المجاني.

والآن هاهو يدفع الثمن.

انكسر عود الثقاب الأول، بعد أن تعمدت كسره ليشهق في قوة.

اشتعل عود الثقاب الثاني، قبل أن تسقطه أرضًا لينطفئ.

لتتساقط دموعه في غزارة.

قبل أن تشعل الثالث وتقترب منه بهدوءٍ قائلة:

– لقد شوه زوج أمي وجهي فلم أتألم مثلما حدث معك، فأنت شوهت لي روحي وأبغضت إلي الحياة؛ لذلك ستسبقه أنت إلى الجحيم.

وبكل برودٍ وبعينٍ شبقة؛ ألقت عود الثقاب الذي كادت جذوته أن تخمد ليستعر فوق ملابسه، ولتمتد النار من جذوته لكامل جسده ليصرخ في هلع لدقيقة كاملة، قبل أن تخمد أنفاسه وتغادر الروح جسده الذي ذاب جلده وأتت عليه النيران.

وبكل هدوءٍ غادرت المكان الذي تشبع برائحة الدخان ورائحة اللحم المحترق؛ لتدخل إلى غرفةٍ أخرى مجاورة حيث يقبع زوج أمها مقيداً غارقًا في عرقه ممتقع الوجه لتميل على أذنه وتسأله برقة:

– هل أنا جميلة؟!

دورة الزمن

– لا يمكن أن تقتل من ماتت روحه منذ زمن طويل.

– بل يمكن ذلك بكل بساطة؛ بأن أسرق ذكرياته وأمله في الغد.

* * *

الزمن: القرن الثلاثون .

المكان: سجن العقرب شديد الحراسة سيئ السمعة.

الحدث: موعد النطق بالأحكام.

دوى الصوت الآلي البارد ليخترق سمع ذلك السجين الشاب القابع وسط زنزانته الباردة المحصنة كرصاصة مفاجئة اخترقت أذنيه في قوةٍ ومزقت تماسكه، فانتفض واقفًا في هلع وجسده يرتجف في عنفٍ وكأنه محموم.

بدا على وجهه المرهق ملامح توتر عنيف وهو يرهف السمع بشدة، وعينيه معلقتين على شاشة عرضٍ رقمية، تتوهج فوقها كلمات تتطابق مع ما

يلقيه على مسمعه الصوت البارد في زنزانته العازلة للصوت.

ركز مع الشاشة والصوت المصاحب، وكأنما استحال إلى آلة للاستماع، ودوى الصوت بالأحكام كنبوءات سوداء واجبة التحقق:

السجين ١٠٠٩ : تم الحكم عليه بالإعدام سحقًا لتداوله مواد إعلامية تثير الفتنة.

السجين ١٠١٠ : تم الحكم عليه بالسجن لخمس سنوات لسرقته مواد تموينية من مجمعات الحكومة داخل المعجل الزمني.

السجين ١٠١١ : تم الحكم عليه بالإعدام حرقًا، مع إطالة فترة التنفيذ لنشره مواد خارجه تسيء إلى الأسرة الحاكمة.

السجين ١٠١٢ : تم الحكم عليه بالنفي لمنطقة الأعمال الشاقة لعامٍ واحد لمقاومته السلطات عند تفتيشه للاشتباه.

السجين ١٠١٣ : تم الحكم عليه بالسجن أربعين عامًا لتجارته في»الأبردين» المخدر داخل المعجل الزمني، ومصادرة أمواله.



– أربعون عامًا.. أربعون عامًا.. هل سيقتطعون من عمري أربعين عامًا كاملة؛ اللعنة.. اللعنة.. إنني الآن في السادسة والعشرين من العمر، ومع هذا الحكم سأصل إلى السادسة والستين. لو لم أمت قبلها فإنني سأتحول إلى حطام، ونفاية بشرية لا ينظر إليها أحد إلا بازدراءٍ واشمئزاز، خاصة وأنني سأفقد كل ما جمعته من أموال طوال عمري بمصادرتها.

لا يمكن أن يحدث هذا، لا يمكن!!

قالها ثم داهمته نوبة بكاءٍ جديدة، فأخذ يبكي بحسرةٍ وعنف وهو يندب حظه التعس ومصيره الذي تحدد دون رجعة أو استئناف. فحكمه دون استئناف كما تنص عليه قوانين مكافحة المخدرات الجديدة.

لقد توقع الموت كحكمٍ سريع ورادع، ولكن الحكم جاء أكثر بشاعة وقسوة.. لقد رأى بعينيه من يخرجون من المعجل الزمني وما يتحولون إليه..

لقد كان صديق عمره أحدهم. يذكره جيداً وتلتصق له في عقله صورتان، لا تفصلها إلا الساعات التي قضاها بداخل المعجل الزمني.

صورته الأولى قبل الحكم عليه؛ فتى وسيم مفتول العضلات؛ ينظر بتحد لحراسه ولا يبدو أن شيئًا على وجه الأرض سيقهره.

الصورة الأخرى بعد أن تم تنفيذ الحكم عليه داخل المعجل الزمني اللعين.

لقد نحل جسده وتغضن وجهه، وضاعت قوته واعتداده بنفسه.

لم يعد هو.

لقد صار بقايا إنسان، ولم يعد يصلح في حالته النهائية هذه إلا للموت.

لقد أنهى المعجل الزمني حقبة السجون والمعتقلات تمامًا، وقلل من معدلات الجريمة التي كانت في تصاعدٍ مستمر، إلا أنه لم يقض عليها تمامًا.

فحيثما وجد الإنسان وجد الشر، وحيثما وجد الشر وجدت الجريمة، ومع الزمن كل شيءٍ يتطور حتى وسائل العقاب.

وهاهي غرفة العقاب تظهر أمام ناظريه؛ الغرفة التي ستسرق أحلى سنوات عمره وستحوله إلى

نفاية بشرية لا تصلح إلا للحرق.

ففي هذه الغرفة المعدنية اللامعة يرقد المعجل الزمني كوحشٍ يفغر فاه لالتهام سنواتٍ ثمينة من عمر ضحاياه.

ذلك الجهاز الرهيب الذي اخترعه العالم الروسي « ايفان بانارين» في نهاية القرن الثلاثين وحصل به على جائزة نوبل للفيزياء، ووضع حدّاً لكل نظريات الزمن غير القابلة للتطبيق.

فالمعجل الزمني كان ثورة على كل النظريات العلمية وكل خيالات الأدباء.

فعن طريق الجسيمات دون الذرية المشحونة بطاقةٍ مروعة؛ يقوم بتسريع الزمن بداخله بدرجةٍ غير مسبوقة حتى أن دقيقة واحدة بداخل المعجل تساوي عامًا كاملًا بخارجه.

وككل الاختراعات الحديثة التقطته العيون الراصدة، التي تبحث دائمًا عن الجدوى الاقتصادية لكل اختراعٍ جديد مهما كانت تكلفته، وكان المعجل فتحًا جديداً وبداية عصر من الثراء للعديدين.

فما أن تأكد الجميع من إمكانية تطبيقه عمليّاً حتى احتكر إنتاجه كيان اقتصادي عملاق عالمي،

ووضع تحت أيدي علمائه ميزانية رهيبة لم تنفق من قبل على أي اختراعٍ مماثل.

ولم يخذل العلماء مموليهم.

وأصبحت نظرية المعجل الزمني هي الأساس في كل الاختراعات التالية التي تدفقت كالسيل. وبالرغم من أن تكاليف إنتاج النماذج الأولية كانت فادحة وتخطت حاجز المليار وحدة نقدية؛ إلا أن النماذج التالية كانت تكلفتها أقل وأقل مع مضي الوقت، ففي غضون شهورٍ قليلة توالت الاختراعات والابتكارات.

صوبات زمنية هائلة الحجم لزيادة سرعة إنتاج المحاصيل الزراعية ومزارع زمنية متحركة للماشية والمخلوقات البحرية مما قضى على أزمة الغذاء العالمية.

معامل مختلفة الأنواع والأحجام تساعد على إنتاج موادٍ نادرة كانت تحتاج لآلاف السنين حتى يتم تخليقها صناعيًا. حضانات زمنية متطورة لإنتاج آلاف الجنود من المستنسخين؛ لاستخدامهم في الحروب التي لا تتوقف والتي تشعلها الكيانات الضخمة كي تعمل مصانع الأسلحة بها.

سجون زمنية وزنازين للعقاب مما جعل القوانين أكثر حسماً وسرعة، ووفر الميزانية الضخمة التي كانت تنفق على قطاعات السجون.

آلاف من الابتكارات التي صنعت عصراً جديداً وحديثًا.

وبالطبع لم يكن أي من هذه الأشياء يشغل بال السجين الشاب بقدر ما كان يشغله مصيره الذي أصبح قاتماً وأسوداً.

فبعد عدة دقائق داخل المعجل الزمني سيخرج إنسان آخر .

إنسان غريب حتى عنه هو ذاته.

بقايا إنسان كان هو في يومٍ من الأيام.

* * *

اقتاده جنديان مدربان مدرعان مقنعان، يمتلكان من وسائل القمع والسيطرة ما يجبر السجين على السير دون تقاعس نحو زنزانة العقاب.

سار أمامهم السجين الشاب أو ١٠١٣ كما يطلق عليه في السجلات الآن، في ممر طويل مضاء بأضواءٍ شاحبة يتقاطع مع ممر آخر ينتهي برواق يحتوي

على عدة مصاعد.. كل مصعد يصل بركابه إلى جهة عقابٍ مختلفة.

دلفوا إلى المصعد الخاص والذي صعد بهم إلى الدور الثامن، وما أن انفتح الباب المعدني لينزلق على جانبي المصعد حتى لمحها السجين فتخشبت أطرافه وبدا يهذي من الرعب.

ففي منتصف مساحةٍ هائلة تقبع غرفة كروية الشكل مصممة من معدنٍ لامع براق فائق الصلابة معزز بألياف الكربون يتصل بها العديد من الخراطيم والأسلاك التي تدخل وتخرج منها إلى خزاناتٍ معدنية خاصة ملحقة صممت من نفس معدن الغرفة البراق.

دفعه الجنديان بعنفٍ نحو الغرفة، ولم تكن مقاومته اليائسة تساوي أي شيءٍ أمام قوة بذلاتهم المدرعة حتى توقفا أمام الغرفة الكروية وباعتيادٍ تام قام أحد الجنود بالضغط على دائرةٍ حمراء استحالت إلى اللون الأخضر بعد أن غادرتها يده.

وبانسيابية ودون صوتٍ يذكر؛ فتحت كوة كبيرة بجدار الغرفة المواجه لهم وظهر خلفه فراش معدني مزود بقيودٍ معدنيةٍ سميكة، ودون انتظار أو تمهيد رفعه الجنديان إلى الفراش المعدني

وقيداه بالقيود المعدنية في غلظة، وضغط أحدهم على دائرةٍ حمراء بجوار السرير سرعان ما تغيرت إلى اللون الأخضر البراق.

وآليّا تم توصيل عدة محاقن وخراطيم وأنابيب إلى جسد السجين تنتهي إلى اسطوانات خاصة خارجية.. قامت بدفع سائلٍ أزرق رائق داخل جسد السجين عبر المداخل المتعددة للمحاقن المتصلة بأوردته.

وما أن سرى السائل المعادل بجسده حتى فقد الوعي واندفعت سوائل التغذية لتتدفق تدريجيّا إلى عروقه، ولتختلط بالسائل الأزرق للمحافظة على حياة السجين وعملياته الحيوية دون أي ضرر أو تلف يصيبها نتيجة القفزة الزمنية القادمة.

تركه الجنديان بعد أن تأكدا من كل شيء وابتعدا مغادرين الطابق نهائيّا؛ ليقوم أحدهما بإدراج شفرة الحكم الخاص بالسجين من كمبيوتر فرعي متصل بالكمبيوتر الأم بغرفة المعجل، فالموجات الكهرومغناطيسية والجسيمات دون الذرية ستكونان مجالاتٍ مروعة ستفني أي كائن حي قريب منها.

وبعد أن تعرف الكمبيوتر على السجين وتأكد من شخصيته؛ قام بفك شفرة الحكم وقام تلقائيّا ببدء

عملية التنفيذ.

ومع تلقي أمر البدء هدر المعجل الزمني في قوة كمارد عملاق يستيقظ من سباتٍ عميق، ثم أخذ يهتز بعنف وانطلقت حوله شرارات عنيفة زرقاء، ثم أخذ في الدوران بسرعاتٍ هائلة وانطلق يخترق الزمن الداخلي كما يطلق عليه علماء هذا العصر .

وفي لحظاتٍ قليلة؛ تحول المعجل إلى وحشٍ زمني رهيب يمتص أجمل وأنضر سنوات عمر السجين دون رحمة أو شفقة.

أربعون دقيقة التهم فيها المعجل الزمني أربعين عامًا من عمر السجين، ثم توقف عن العمل وكأن شيئًا لم يحدث؛ ليعود مجرد غرفة كروية هادئة نسبيًا مصنوعة من معدنٍ براق.

وما أن توقف المعجل عن العمل تمامًا حتى بدأت إجراءات الإنعاش.

وكإجراءٍ روتيني تم التقاط صورة هولوجرامية كاملة للسجين، ومقاييسه الجسدية الجديدة التي حطمها الزمن وتم إضافتها إلى ملفه الأمني كالمعتاد.

تمتد فترة الإنعاش بعد انتهاء عمل المعجل إلى عشر ساعاتٍ أخرى يتم فيها صب السوائل في جسده لتهيئة الخلايا لوضعها الجديد والمحافظة على حياته.

ثم يتم تسليمه بعد ذلك إلى وحدة إعادة التأهيل التي تقوم بتهيئته نفسيًا للصدمة التي سيمر بها بعد لقائه مع نفسه، كما يحب أن يطلق عليها المتفكهون بقسم إعادة التأهيل.

* * *

استيقظ السجين من غيبوبته الصناعية وهو يشعر بآلامٍ رهيبة تجتاح كل خلية من خلاياه.

آلام حادة تفوق بالتأكيد آلام انسحاب المخدر من جسده.. تلك الآلام التي مر بها عند توقفه عن تعاطي المخدرات التي يقوم بالاتجار فيها.

الآلام لا تشبهها فقط بل تفوقها ألف مرة.

كان يشعر بأنه تم وضع جسده بقلب جهاز طردٍ مركزي يدور بسرعة الضوء نفسها. عظام جسده تبدو وكأنها مهشمة، كما أنه يشعر بإرهاقٍ رهيب بلا حدود مع تشوش كبير في الرؤية وصداع مروع.

توقع أن تصفو الرؤية بعد أن يغادره الإجهاد وينحسر عنه الألم؛ إلا أن الساعات مرت دون أن تصفو رؤيته أو يزول التشويش.

حاول أن ينهض فآلمته القيود المعدنية ومنعته من الحركة.

كان يسيطر عليه خمول رهيب وإرهاق مضاعف.

كل خلاياه مجهده وتؤلمه.

يشعر بصلابة القيد المعدني على جلده المتغضن المنهك وكأنها قبضة غاضبة.

آلام عظامه وأسنانه لا مثيل لها؛ بل إنه تفاجأ بسقوط بعض أسنانه دون سابق إنذار .

الألم في قدميه جعله يؤمن بأنه لن يستطيع أن يقف عليهما مجدداً.

غاص بأفكاره حتى شواطئ الكآبة المدلهمة، إلى أن قطعها صوت صفيرٍ متقطع يوحي بانتهاء فترة الإنعاش.

وبعد مرور عدة دقائق أخرى صدر هسيس عجيب، وانفتحت على أثره الكوة مرة أخرى ليدخل الجنديان المقنعان من جديد فيضغط أحدهما على الدائرة

الخضراء فتستحيل حمراء وتنفك القيود المعدنية دون صوت. فيقومان بتحريك الفراش نحو المصعد الذي يحمل حمله الهزيل، ويصعدان به إلى مركز إعادة التأهيل.

وهناك تلقى صدمته كاملة دون نقصان، فالطبيب بلا مبالاة كبيرة ناوله نظارة طبية مصنوعة من ألياف الكربون المعالجة ليرتديها، كان قد تم تصنيعها من أجله على عجل.

وهي أقصى ما يمكن منحه له من أموال دافعي الضرائب. ليحصل على عدسات لاصقه من نقوده أو ليقوم بعملية تصحيح نظر على حسابه الخاص.

فبرغم التقدم العلمي في القرن الثلاثين، والذي لم يصل لما يعتقده البشر من تطور إلا في مجالات محددة؛ مازال هناك خيارات للفقراء والمعدمين ومن صادرت الدولة أموالهم.

فبرغم تطور الطب المذهل؛ إلا أنه مكلف جدّاً.. لاشيء لا يعالجه الأطباء في القرن الثلاثين إلا الموت طبعاً.

وكل شيء متاح وموجود ولم ينقرض كما كان يعتقد البعض في حدوثه، فالنظارة مازالت موجودة وأيضاً تصحيح النظر (السوبر) وتقويته، ولكن

النظارة كانت هي أقصى ما يقدمه المجتمع لهؤلاء الفاسدين..

لقد أدى المجتمع واجبه كاملًا نحوه.

ارتدى نظارته الطبية فصفت الرؤية بشدة وذهب التشوش عن عقله وفاجأه المنظر المرعب، ففي الناحية الأخرى من المرآة كان يقف أمامه كهل على مشارف الأبدية؛ ينظر له بعيونٍ جاحظة خلف عدسات النظارة المقوسة وعلى وجهه المتغضن نظرة ذهول.

كان يتوقع ما رآه، ولكن التوقع غير الرؤية.. غيرها تمامًا.

لقد فقد أجمل سنوات عمره ومعها فقد شبابه وأحلامه ونضارته. فقد أربعين عامًا كاملة.

كم يوجد في العمر أربعين عاما؟!

اكتنفه الاكتئاب والإحباط والقنوط، فسار في إجراءات الإفراج الروتينية كالمغيب وبعدها عاد إلى منزله في سيارة خاصة بالشرطة كخدمة إضافية يؤديها له المجتمع.

كان يائسًا..

محبطًا..

محطمًا داخليًا وخارجيًا..

لقد هرم جسده وتبعته روحه.

لقد انتهى تمامًا.

* * *

عاد السجين إلى منزله بعد أن دفع ثمن جرائمه كاملة غير منقوصة وعلى كتفيه عبء هائل يزن أطنانًا، ودلف على الفور إلى صوانه الخاص ومسح على دائرةٍ سرية تختفي بداخل نقوش الصوان، فتعرف القفل الأمني على بصمته وصدرت (تكة) خفيفة؛ تلاشت على أثرها خلفية الصوان بالكامل وظهر خلفها ما يشبه ترسانة الأسلحة.

ابتسم ابتسامة واهنة وردد بصوت واهن:

– هاوم.. لم يعثر عليها الأوغاد برغم كل شيء وبرغم ادعائهم المهارة.

تطلع نحو الأسلحة المتعددة الأحجام والأشكال والاستخدام، ثم انتقى منها سلاحه المفضل وقبض عليه بيدٍ مرتجفة، ولم يشعر مع ملمسه البارد بالأمان الذي كان يمنحه له من قبل.

فوقف أمام المرآة متطلعًا لصورته المنعكسة، ثم صوب المسدس نحو رأسه وابتسم ساخرًا للعجوز الذي يتطلع له عبر المرآة وصرخ بسخطٍ وغضب:

– اللعنة على كل القوانين.

وعندما ردد معه العجوز المنعكس في المرآة الهتاف؛ غمز بعينه للعجوز الذي يتطلع نحوه عبر المرآة، والذي قلده تمامًا وقال ساخرًا:

– من قال أنهم فقط من يملكون المعجل الزمني؟!

لوح بمسدسه في الهواء قبل أن يستطرد:

– إنني أمتلك أيضًا معجلي الزمني الخاص.

قالها ثم ضغط زناد المسدس الارتجاجي في قوة، فتناثر على الفور مخه مختلطًا بعظام جمجمته وبزجاج المرآة الذي تحول إلى فتات، وسقط مسدسه المفضل بجواره بعد أن قام بدورته الزمنية الخاصة. جدًا.

المكتبة

– الكتب هي حياتي.

– بل حياتك صنعتها الكتب.

* * *

ماتت أمه بعد طلاقها بخمس سنوات، وخلالها كانت تذبل كزهرةٍ قطعت عنها كل سبل الحياة أو الأمل فيها.

كانت أمه من تلك النوعية من النساء التي ترى الحياة عبر زوجها فقط.. هكذا تربت وهكذا ستعيش وستتحمل كل شيء منه إلا طلاقها.. الطلاق لفظة لم تتردد في عائلتها منذ أجيال.

كان الطلاق من المستحيلات التي لم تكن لتتخيل حدوثها لها هي بالذات، ولكن المستحيل أصبح في هذا العالم القاسي هو الممكن والمتاح.

كان هو وقتها في الثانية عشرة من عمره، فتربى (عمر) في بيت خاله مع كل ما يحمله هذا الأمر من معاناة.

المكتبة

– الكتب هي حياتي.

– بل حياتك صنعتها الكتب.

* * *

ماتت أمه بعد طلاقها بخمس سنوات، وخلالها كانت تذبل كزهرةٍ قطعت عنها كل سبل الحياة أو الأمل فيها.

كانت أمه من تلك النوعية من النساء التي ترى الحياة عبر زوجها فقط.. هكذا تربت وهكذا ستعيش وستتحمل كل شيء منه إلا طلاقها.. الطلاق لفظة لم تتردد في عائلتها منذ أجيال.

كان الطلاق من المستحيلات التي لم تكن لتتخيل حدوثها لها هي بالذات، ولكن المستحيل أصبح في هذا العالم القاسي هو الممكن والمتاح.

كان هو وقتها في الثانية عشرة من عمره، فتربى (عمر) في بيت خاله مع كل ما يحمله هذا الأمر من معاناة.

فالخال سكير أبدي مفلس، وزوجته كارهة قاسية.. عاملته كالخادم وأحقر، بل ولم تكن تتعفف في أن تذكر ذلك لأبنائها، فكان وهو الطفل مثلهم يخدمهم ويتحمل سخريتهم منه ومن ملابسه، ومن نعته بالفتاة لأنه يقوم بالأعمال المنزلية.

لذا فعندما ظهر جده من غياهب العدم وطلب منه أن ينتقل ليعيش معه؛ لم يتردد لحظة واحدة ليخرج من هذا الجحيم اليومي.

وبالفعل عوضه جده خلال أشهر عن سنواتٍ من الحرمان، قبل أن يموت بين يديه ذات ليلة صيفية حارة بعد هذيان استمر عدة أيام؛ ليتركه بعدها وحيداً ليواجه الحياة مرة أخرى، وليرشف من كؤوس أحزانها ما لن يجعله يرى السعادة أو الأمل في أي شيء بعد الآن.

ترك له جده في وصيته منزله القديم ليمنحه المأوى.. ومكتبته العتيقة كمصدرٍ غير مشجع للدخل لعله يتمكن عن طريقها في أن ينفق منه على طعامه ومتطلباته ودراسته التي عاد إليها مجدداً.

لم يكن أمامه أي حلول رغم صغر سنه إلا أن يستفيد بكل ما تركه له جده.

لذا قرر أن يلتحق بالعمل في مكتبته القديمة والموجودة بأحد أحياء القاهرة القديمة، والتي زارها مع جده عدة مرات قبل موته لعله ينجح في تطويرها أو تحويلها لأي مشروعٍ آخر.

فقط عليه أن يحاول، فهو لم يعد مكشوفًا أمام الحياة كما كان من قبل، ولديه فرصة لو أحسن استغلالها لتبدلت حياته.

لم تكن لدى (عمر) خلفية عن إدارة العمل بمكتبه؛ إلا ما شهده في سور الأزبكية حيث كان الباعة يعرضون الكتب على الأرصفة، وكان يجادلهم في أسعارها و يتحصل عليها بربع الثمن.

فمعظم ما يباع الآن في مثل هذه الأماكن التي كان لها اسمها وقيمتها قديماً؛ هي كتب مضروبة أي مسروقة يتم طباعتها في مطابع لا تملك حق طباعتها، ويسوقها من ليس له حق تسويقها ويشتريها من لا يجب عليهم شراءها؛ ليشترك قرصان الكتب مع القارئ والبائع في تلك الجريمة المنكرة، التي تضيع حقوق الكاتب ودور النشر والمكتبات ومجهود العاملين عليها.

كان يعلم أن خبرته محدودة في هذا المجال كقارئ لم يجد مهرباً من ظلم الحياة إلا براح الكتب، لكنه

قرر أن ينجح فيه كي لا يتعرض مرة أخرى لذل الحاجة وتقلب الأيام.

يكفي أن جده قد وضع قدميه على أول الطريق.

كان من الممكن أن يطلب بعض النقود من السيدة (رتيبة) أمينة المكتبة كما يصفها جده، ولكنه لم يكن يحتاج لسمكةٍ مؤقتة تقيه شر الجوع، بل كان بحاجةٍ لأن يدخل سوق العمل ويتعلم الصيد وامتلاك جده لعملٍ حر سيكون وازعًا له ليتقن العمل دون قلق من الطرد مبكرًا.

الحقيقة أنه لم يسترح أبدًا للسيدة (رتيبة) البدينة، ولا لنظراتها المقتحمة من خلف نظارتها السميكة، ولكنها أهون من أن يلجأ لوالده الذي لم يكلف نفسه عناء السؤال عنه منذ هجر والدته؛ لذا عليه أن ينحي كراهيته لها جانبًا ويتعلم منها قواعد العمل وأسسه، فرفاهية التذمر ليست للفقراء والمفلسين.

وفي الصباح الباكر حصر ما تبقى معه من نقود وبدأ رحلته.

نصف الطريق قطعه بالميكروباص، والنصف الآخر سيرًا على الأقدام.. لقد أفرط في شراء مخزونه من الطعام بالأمس دون أن يلقي بالًا أن في الحياة

متطلبات أخرى غير إسكات صوت معدته، وهو لن يبدد ما تبقى لديه من أموال على رفاهية المواصلات. لقد جاء ليبحث عن المال لا أن يبدده.

وبعد نصف ساعة من السير الحثيث آلمه حذاؤه، فقرر أن يستريح قليلًا على رصيفٍ مرتفع يخلو من احتلال أصحاب المحلات له، وهو يفكر في تلك التحولات الكثيرة التي تموج بها حياته. لا يعرف إن كان حظه سيئ أم أنه نحس وجلب النحس على الجميع.

كان يتمنى أن يمر في حياته بفترة استقرار. مجرد فترة يشعر فيها أنه حي وقادر على الاستمتاع وربما البكاء من السعادة.

يريد أن يرى الدنيا وبعدها لتظلم أو لتنهار من حوله، فقط يحتاج لأن يشعر أن من في السماء يرضى عليه ولو لوقتٍ محدود؛ كي يختفي ذلك الفراغ من أعماقه وتتبدد بعض ظلمة أفكاره.

إن حاله أفضل من غيره، ولكنه يتمنى أن يؤمن بذلك. كان ما ينقصه هو الرضا ولكن كيف يمكن لك أن ترضى، وأنت لا تستطيع أن تأخذ أنفاسك من ضربات الدنيا المتتالية التي تشج روحك في كل مرة.



للقراءة وسط تحولات حياته التي لا تتوقف ولا تهدأ. ولا تمنحه هدنة للراحة.

القراءة بالنسبة له كالصلاة؛ لها طقوسها وأوقاتها.. ولا بد أن يستحضر لها في النفس خشوعًا خاصًا.

تنهد في عمق وعيناه تتابعان موقفًا جديدًا أثار استيائه، فعلى البعد كان رجل بالغ يدفع يد الطفل بائع الفواحات من نافذة السيارة بقسوة رافضًا بضاعته أو مساعدته، والطفل يستجديه ويستعطفه.

لم يكن يملك في جعبته ما يساعد به هذا الطفل.. عوضًا على أن يساعد نفسه، لم يعد أحد يساعد غيره هذه الأيام.

الشهامة والمروءة والكرم والحلم والعطف. أصبحت صفاتًا مندثرة، ولم يتبق إلا ذكرها كحفريات الديناصورات.

ومضت في رأسه خاطرة بعيدة فنسي كل شيء عن ذلك الطفل المكافح:

– إن مكتبة جدك مغلقة من يوم وفاة جدتك، لا أحد يعرف سر إصراره على عدم فتحها بعد وفاتها.. ربما

تحمل له ذكرى سيئة لم يعلن عنها.

تذكر هذا الحوار القديم الذي دار بينه وبين أمه وتعجب من الأمر؛ فالمكتبة لم تغلق أبوابها يومًا واحدًا كما أخبره جده، والسيدة (رتيبة) لم تنقطع أبدًا عن مباشرتها والاهتمام بها.

كان الجو حارًا والشمس قائظة والهواء ثابت لا يتحرك، فقرر أن يكمل مسيرته إلى حيث العمل والأمل.

كانت المكتبة بصيصًا من الأمل بعد غياب جده، وكان هو متعب حقًا ليتشبث به.

* * *

طوال الطريق كان يشعر بوحدةٍ عميقة، وبأن الكون كله خذله.

جده بغيابه الأبدي هذه المرة، وأبيه بجحوده وإهماله له، وأمه بموتها وتركها له يواجه الحياة بلا سند.

لذلك لم يكن أمامه أي ضوء في نهاية النفق إلا المكتبة.. بصيص من أمل سيتبعه لأنه لو ضاع حماسه أو فترت همته؛ سيتحول إلى شبحٍ آخر

كتلك الأشباح التي تتحرك حوله وتدعي الحياة، وربما أقدم على الانتحار في النهاية.

فكر للحظاتٍ وهو يتلفت حوله في حيرة، إن قطع الطريق سيراً على الأقدام يختلف كلية عن قطعه بالسيارة، فهل ضل طريقه؟!

للحظاتٍ شعر بالضياع، قبل أن يشم رائحة البن القوية التي أثارت أنفه عندما أتى مع جده لزيارة المكتبة في وقتٍ سابق وعلى الفور اهتدى عقله إلى الاتجاهات.

فتذكر محل الجزارة وهذا الكواء وهذه القرطاسية، وورشة إصلاح السيارات، والفاكهاني، ثم ذلك المتسول مقطوع الساقين.. المكتبة قريبة ربما في التقاطع القادم.

وبالفعل لم يخب ظنه..

كانت المكتبة هناك..

وكانت السيدة (رتيبة) تنتظره وكأنها كانت على علمٍ بموعد وصوله..

وما أن عبر باب المكتبة حتى هبت من مكانها، وعلقت حقيبتها الجلدية العملاقة على كتفها

وناولته مفاتيح المكتبة، وقالت له بصوتٍ محايد:

– بموت جدك المكتبة أصبحت مسؤوليتك الآن.. نقود مبيعات الثلاثة أشهر السابقة في الدرج الأخير من مكتب جدك.. الدفتر الأزرق يوجد به جرد كامل بكل مافي المكتبة من كتب والدفتر الأسود المبيعات، والمظروف الأصفر به رسالة من جدك، والآن مهمتي انتهت وبدأت مهمتك.

قالتها ثم غادرت المكان دون أن تمنحه أي فرصة للتساؤل أو الاستفسار أو حتى توديعها.

كان الأمر مريبًا وغريبًا؛ إلا أن كل ما فكر به ساعتها هو الدرج الأخير الذي يحتوي على النقود.. الأمان الورقي من غدر الأيام القادمة.

تقدم عدة خطوات إلى داخل المكتبة سيئة الإضاءة ثم توقف مترددًا.. الصمت يغلف كل شيءٍ بعد رحيل السيدة (رتيبة).. رهبة عجيبة تملكته وكأنه يدخل حرمًا مقدسًا.

شعر بكهرباء استاتيكية تسري بجسده. مما جعل الشعيرات تنتصب على مؤخرة عنقه، وقد شعر بحضورٍ قوي لشيءٍ مبهم يجثم على المكان الضيق وعلى روحه، فتنفس بعمقٍ ليزيل بعضًا من توترته، فتسللت الرائحة المكتومة إلى رئته.

كانت مزيجًا من رائحةٍ عطرية ثقيلة وهواءٍ مكتوم وبخور ورائحة الخشب القديم.

بدد ما يموج به المكان من طاقةٍ روحية سلبية.. حماسه لحصر النقود، فتلفت حوله ليتفحص المكان جيداً. كانت مكتبة فقيرة لم تكن تزيد عن حجم دكان بقالة صغير.

ولم تكن تحتوي إلا على مكتبٍ قديم فوقه علبة مخملية بداخلها كتاب اللّه وصوان خشبي، ولوحة في صدر المكان تحمل لفظ الجلالة بحروفٍ ذهبية، والأرفف المنظمة التي تحتوي الكتب.

لم يكن هناك شيئًا مريبًا، ولكن قلبه ظل يحمل انقباضة لا يعلم لها سببًا.

تقدم من المكتب الذي بهت طلاؤه وجلس على المقعد الذي أن من ثقله، فتساءل؛ كيف كان يحمل السيدة (رتيبة) التي تفوقه في الوزن ثلاث مرات على الأقل مع جسده النحيل؟!

فتح الدرج المنشود ثم هب مشدوهًا.. كان الدرج مكتظًا بعملاتٍ معدنيةٍ وورقية عجيبة الشكل، لم تكن تشبه أي من العملات المتداولة.

هذه عملات مزيفة وربما تستخدم في التمثيل. أو هي عملات دول لم يسمع عنها من قبل.

تناول عملة معدنية فحصها؛ حكها بالمبرد الصغير الموجود على المكتب.. ألقاها لينصت لرنينها ثم شهق؛ لو أن كل هذه العملات ذهبية فقد أصبح من الأثرياء.

ثم تذكر كلمات السيدة (رتيبة) المبهمة:

– المكتبة مسؤوليتك الآن.. نقود مبيعات الثلاثة أشهر السابقة في الدرج الأخير.

هل كانت تبيع الكتب للقراصنة أو ما شبه؟

مازالت الكلمات تطن في أذنيه:

– والمظروف الأصفر به رسالة من جدك، والآن مهمتي انتهت وبدأت مهمتك.

وعلى الفور استوى فوق المقعد الخشبي ليحتوي جسده في بساطة؛ ليشعر براحةٍ عجيبة وكأنه يجلس فوق مقعد من مخمل، وليس ذلك المقعد الذي أن منذ لحظات، فما الذي تبدل بين فتح الدرج وغلقه؟!

كان كل شيء في المكان غريبًا ومريبًا.

ولكنه لن ينهك نفسه في التفكير أكثر؛ سيقرأ رسالة جده لعلها تحتوي على تفسيرٍ ما مريح.

فض المظروف الأصفر ليجد الرسالة المقتضبة:

– بدأت مهمتك الآن يا (عمر) مفاتيح السر في الدرج العلوي.. فقط عليك أن تؤمن لترى، أنت الآن أمين المكتبة.. استعد لاستقبال الزائرين وثمن المعرفة الذهب أو صكوك ميسا الأغلى من الذهب.

وبالأسفل كان إمضاء جده، وختم عجيب على شكل كتاب تحيط به سلاسل معدنية وقفل.

كانت رسالة عجيبة ومحيرة وزادت ريبته وجعلته يفكر؛ هل يسخر منه جده الراحل بمساعدة السيدة (رتيبة) ولأي سببٍ يفعلان؟.. فتح درج المكتب العلوي فوجده فارغاً. الدرج الذي يليه مثله.

عاد مرة أخرى للدرج العلوي وتذكر:

« يجب أن تؤمن لترى».

كيف يقنع عقله بما يرفضه ويراه ضرباً من الخداع.. لا يعرف أي شيء عن تمرينات اليوجا والتركيز، بأكثر من معرفته عن قيادة مكوك فضائي.

إن جده أكثر صرامة وجدية من أن يضعه في لعبةٍ مماثلة ليسخر منه، كما أنه يثق به تماماً ورسائل الأموات لا مزاح فيها.

وهنا نظر للدرج المفتوح، فرأى ثلاثة مفاتيح غريبة الشكل تنتهي بقضبان مربعة متراصة في فراغات خاصة بداخله، فسحبهم بسرعة من أماكنهم قبل أن يختفوا أو يتحولوا إلى سراب.

أخذ يقلبهم بين يديه في حيرة قبل أن يضعهم جانباً، ويعيد قراءة الرسالة بحثًا عن الخطوة التالية.

وعندما لم تبح له الرسالة بسر جديد؛ أخذ يتأمل أرفف المكتبة في شرود، وقبل أن يعود ببصره إلى الرسالة مجدداً؛ لاحظ أن أحد الأرفف يحتوي ثلاثة ثقوب لا مبرر لوجودها. ثلاثة ثقوب مربعة كحال المفاتيح.

فهل هذه هي الإشارة؟

نهض من مكانه وهو يحمل المفاتيح في رهبة.. نفس الشعور الموتر للأعصاب يعتريه ويثير بأعماقه قلقًا مجهولًا؛ لذا وقبل أن يتحرك من مكانه وبغريزة تاجر يهودي يخاف على فقدان كنز ثمين؛ قبض قبضتين من النقود الذهبية ووضعها بحرص في جيبا سرواله.

فربما ينهض ويعود فلا يجدها في مكانها.. مع كل تلك الأحداث المريبة التي يمر بها اليوم، فالقليل من النقود الذهبية وإن كانت كبيرة القيمة أفضل من لاشيء.

وقف أمام الرف الذي يحتوي على الفتحات الثلاث المربعة مفكراً، لو لم يكن هناك مفاتيح في الوصية لما أعارها انتباهاً.

لابد وأن جده يخفي من الأسرار ما قد يبدل حياته بالكامل.. كل هذا الغموض لا يمكن أن يحيط بشخص عادي.

وبالفعل تطابقت قضبان المفاتيح مع الفتحات المتباينة، وبفعل لا إرادي أدار المفاتيح بتسلسل متتابع.. من الأكبر حجماً إلى الأصغر وانتظر النتيجة دون أن يتغير شيء، إلا صوت دقات قلبه.

عكس التسلسل؛ لا جديد.

وعندما هم بنزعها؛ تذبذبت المصابيح الشاحبة وانغلقت الأبواب الخارجية في هدوء بدون تدخل بشري، وعلا صوت صرير مكتوم قبل أن يهبط الرف رأسيّاً إلى باطن الأرض؛ ليظهر خلفه باب آخر بلا رتاج أو مفتاح.

باب ذهبي عليه نفس النقش الموجود في رسالة جده.. الكتاب والسلاسل والقفل.

دفع (عمر) الباب في قلق وعبره متردداً ثم شهق، فما يخفيه الباب خلفه كان مذهلًا.

لم يكن مخزنًا سريًا يقبع خلف المكتبة، ولا نفقًا حفر ليقود إلى كنز ما، ولا سردابًا يقود لباطن الأرض حيث عالم آخر لا تحكمه قوانيننا.

بل كان هذا الباب الصغير يخفي خلفه قاعة هائلة الحجم؛ تحتوي بداخلها على مكتبة عملاقة مكتظة بالكتب والمجلدات.. تفوق حجم الحارة التي توجد بها المكتبة الأصلية بمبانيها.

لم يكن هناك تفسيراً منطقيًا لوجود مكتبة بمثل هذا الحجم في هذا المكان المحدود؛ إلا أنها تقع في بعدٍ آخر أو أن جده كان ساحرًا أريبًا، أو أن المكان ملعونًا ويمارس عليه حيلة لا يفهمها.

خطا (عمر) عدة خطوات للأمام فاحتوته القاعة الهائلة الحجم التي تضم بداخلها المكتبة، فشعر بالدونية خاصة مع السقف المرتفع المنتهي بنوافذ زجاجية سميكة ملونة تحجب ما خلفها؛ ليتسرب إلى روحه إحساس غامض مقلق كاد أن يدفعه للفرار، لولا اشتعال جذوة فضوله.

كانت القاعة مضاءة بإضاءة خفية؛ أحالت المكان لنهار في حين تألقت أرفف المكتبة بأناقة وفخامة، فخطفت بصره وحازت على اهتمامه.

كانت أرفف المكتبة تغطي ثلاثة جدران كاملة بارتفاع بناية من خمسة طوابق غير الصفوف الرأسية التي لا يمكن حصرها، وقد صنعت أرففها من أخشابٍ ثمينة دهنت باللون الأسود في عناية وطعمت بالأبانوس وبعض الحلي المعدنية، وكل قسم منها يحمل لوحة نحاسية تشير إلى محتواه.

كما تتناثر في المكان بشكلٍ مدروس العديد من الطاولات التي رصت فوقها بعض الأوراق والأقلام لتدوين الملاحظات، كما أحاطت به بعض الكراسي الخشبية التي لا تقل أناقة، وكأنما أعدت المكتبة لتكون ساحة للنقاش أيضًا.

وقف (عمر) مأخوذًا يتأمل المكتبة حتى تاهت عيناه بين ما تحتويه من درر وكنوز أدبية، وهو يفكر:

لن يكفي لمكانٍ مماثل أمين مكتبة واحد.

وبرغم ما يراه بأم عينه لم يكن يصدق أن ما يراه حقيقيًا، لا يمكن أن يكون حقيقيًا إلا لو كان هذا الباب بوابة انتقال آني تقود لعالم آخر يقدر المعرفة

أو هي ثغرة إلى مكتبة في بعد آخر أو كوكب آخر، فالمكتبة تمتد إلى مدى بصره.

نظافة المكان وتنظيمه يدلان على أن هناك من يعتني بالمكان، لا يمكن بالطبع أن تكون السيدة (رتيبة) فالمكان يحتاج لجيش كامل للعناية به والإشراف عليه، برغم أن نظرتها توحي بأنها قادرة على فعل أي شيء.

وبدون وعي؛ دوى صوته المبحوح في المكان ليردد الصدى:

– هل من أحد هنا؟!

أعاد النداء، ولا شيء إلا صدى صوته.

تفقد بعض أجزاء المكتبة في قلق دون أن يتعمق في دهاليزها، كان هدوءها المستفز يوحي بعدم وجود أحد آخر غيره في المكان.

لو كان الظرف مختلفاً لتمنى أن يعيش إلى الأبد في تلك المكتبة التي تشبه مغارة علي بابا بكنوزها القيمة، وكتبها التي تحتاج لعدة قرون لقراءتها.

وعلى ذكر الكنوز؛ تحسس جيوبه ليتأكد من وجود العملات المعدنية، وطمأنه معدنها البارد فقرر أن يقطع الممرات عائداً إلى الباب وعينيه تمسحان المكان، ثم انتبه عقله الباطن لشيء ما فأعاد بصره إلى أرفف المكتبة التي تواجهه في طريق الخروج.

لفت نظره تلك الكتب المتناثرة عبر الأرفف التي تحتل الجدار البعيد في نظامٍ خاص بين عشرات المجلدات الأخرى، وكل منها يحمل على كعبه حرفًا معينًا نقش بأناقة ودقة بلون مخالف لما كتب على الكعب.

كانت ملاحظته عجيبة ولا يمكن لعين عادية أن تلاحظها وسط ازدحام المكان، ولكنه فعلها وكأن هناك من قذف الفكرة في عقله.

وبكل حماس هرع إلى الطاولة القريبة، وانتزع إحدى الأوراق البيضاء وقلم رصاص له سن حاد، وبدأ في تجميع الأحرف.

كتب الحرف الأول؛ (ع) فخيل إليه أنه سمع صوت تنفس عميق.. تجاهله على الفور، فلابد وأنه صوت الريح.

كتب الحرف الثاني؛ (م) فسرى في الغرفة تيار هواء بارد أجفله، ولكنه واصل وكتب الحرف الثالث؛ (ر) ثم توقف وشهق.

كانت الحروف الثلاثة تكون حروف اسمه،(ع م ر) فهل ترك له جده رسالة أخرى مشفرة، أم أنها مجرد مصادفة؟!.. الأمر مريب إلى حد كبير.

مكتبة خفية ومفاتيح تظهر عند الإيمان برؤيتها، وكتب تحمل على كعوبها رسالة مشفرة أول كلماتها اسمه.

الأمر بدأ يتخذ طابع الفخ أو المؤامرة.

رفع عينيه بحذر إلى الحرف الرابع وكأنه يخشى المواصلة، ثم كتبه (أ).

عندها عادت الريح مع صوت اصطكاك مزعج، وكأن هناك من يضغط فك عملاق في حركةٍ عصبية ليصدر هذا الصرير، وهنا انتابه شيء من الخوف والقلق ولكن صوتًا ما تردد داخله جعله يواصل.

وفي النهاية؛ أنهى كتابة الحروف متجاهلًا الريح والضجيج والصرير، والصرخة التي شقت قلب الليل مع انتهائه من كتابة آخر حرف لتتكون الجملة.

(ع) (م) (ر) – (أ) (ن) (ا) –(هـ) (ن) (ا).

عمر أنا هنا..

وفي هذه اللحظة؛ سمع صوت التنفس العميق يتردد بقوة، فتلفت حوله في قلق.

الصوت كان قريبًا منه لدرجة أنه أحس بلفح الأنفاس على عنقه.

دار حوله في هلع.. وبرعب هائل صرخ وهو يوجه حديثه للفراغ:

– أنت من، وهنا أين؟

وهنا اختلط بصوت التنفس العميق؛ صوت حشرجة وكأن هناك من ينزعون حنجرته أو يسلخون جلده حيًا.

كان الأمر مرعبًا؛ حاول أن يتمسك ببعض المنطق كي لا تنفلت أعصابه مجدداً.. فالقاعة خالية، هو تأكد من ذلك ولا مجال هنا لأن يكون بداخل المكتبة غرفة سرية وبداخلها من يعابثه.

أدار الفكرة في رأسه، وهو يمسح المكان بعينيه في وجل، قبل أن يردد:

– بل لا يوجد ما يمنع من وجود غرفة مماثلة أو عدة غرف، فالمكان يصلح لكل شيء وأي شيء.

وعندما دوت الفكرة بعقله؛ سمع التنفس العميق أكثر قربًا وأحس بوخز متصاعد في جلده، ولوهلة أحس بالدوار قبل أن يفطن لشيء عجيب.. إنه ثابت والقاعة هي التي تدور حوله كمروحة عملاقة وبداخلها تتطاير عشرات بل مئات الكتب.

ومع نظره إلى الأرضية أيقن أن الأمر غير طبيعي. إنه يقف بقلب العدم معلقًا بين عالمين.. ولو ظل الأمر إلى الأبد فلن يعلم أحد بوجوده.

فأي كان من يسكن هذه القاعة، فهو غير بشري وغير مسالم.

فمن يشع مثل هذه الطاقة النفسية السلبية لابد وأنه شيء مروع.

المكتبات لا تتنفس بهذه الطريقة.

جعلت هذه الفكرة روحه قلقة بداخل جسده، وفي لحظةٍ ما توقفت الغرفة عن الدوران ليلمح ذلك الظل البشري الجاثم على أحد الكتب العملاقة يتصفحه دون أن يأبه بوجوده.



حاول أن يتحدث لأي منهم، ولكنهم لم يكونوا في المكان بأجسادهم الحقيقية، بل كانوا أطيافًا لشخصية أمه ولا يجذب اهتمامهم غير الكتب.

شعر ببعض الراحة مع يقينه من عدم وجود خطر منها، ولكن ما أقلقه هو طريقة مغادرته للمكان.. وعندما أحرقت عقله الفكرة؛ سمع صوت التنفس العميق.

كان الأمر عجيبًا، فما يحدث لا يشبه عبث الأشباح، ولا يشبه نوعًا ما من الطاقة الروحية للمنازل كما يراها في أفلام الرعب.

وهنا عبر الباب أمام عينيه طيف آخر لجده.. بنفس الثياب التي قابله بها آخر مرة.

كان يبدو حيًّا أكثر من الأطياف الأخرى التي كانت تتمثل في هيئة أمه، وقبل أن يبادره بالحديث فوجئ بصوته القوي يهز المكان:

– لا أشباح هنا ولا طاقة روحية. القاعة نفسها حية بل وتتنفس. المكتبة هي عقلها وقلبها وأنت أمينها الآن. كل كتاب ستقرأه سيمنحها المزيد من العمر، وكلما قرأت أكثر كلما طال وجودها.. إنها أم المعرفة ولا يوجد كتاب في العالم إلا ويوجد بداخلها، ولكل مكتبة في العالم باب يفتح عليها.





مقدس كي لا تضيع المعرفة من العالم. فقط قم بما عليك وبعدها أنت حر، ولا يشغلنك شيء عن واجبك.

نظر (عمر) لجده في مقت ثم قال:

– وماذا لو رفضت؟!

قال الجد في مرارة:

– ستغيب أطيافك في دوامتها الزمنية، وستحبس روحك كل عام أحد عشر شهرًا، وسيطلق سراحك لشهر حتى تأتي من صلبك بمن هو قادر وحريص على إتمام واجبه تجاه الكون والمكتبة.

وفي عنادٍ قال (عمر):

– وإن قتلت نفسي؟

هز الجد رأسه في يأس قبل أن يقول:

– ستحرمنا أنا وأمك وجدتك من أن نعود أسرة مجددًا، وسأعود أنا هنا لأكمل ما عجزت أنت عنه، وبموتي قد يفقد البشر أهم ما يحافظ على إنسانيتهم، وهي المعرفة.

الأمر كله منوط بك وبذريتك، ولن أرغمك على شيء ولا تعتقد أن الأمر كان هينًا علينا أنا وأمك وجدتك.

ظهر التردد على وجه (عمر)، وعندما لم يجد ما يجيب به تساءل:

– وأين تسكنون الآن، وهل أنا قادر على زيارتكم؟

ظهر البشر في عين جده وقال:

– نحن لا نعيش في مكان ما، لقد صرنا جزءًا من المكتبة وكل يوم نختر عالمًا جديدًا لنقضي فيه يومنا، الأماكن والأزمنة كلها ملك لنا. فالكتب هي آلتنا الزمنية وهي خمرنا ونشوتنا وسكرتنا.. بالكتب نحيا ألف حياة. وإن أحببت رؤيتنا دومًا عليك أن تكتب كتابك الخاص، فلكل كاتب كتاب سري لا يطلع عليه أحدًا يقود إلى هنا. كتابك سيقود إلى من تحب.

قالها، ثم ترك (عمر) وتوجه نحو أحد الأرفف، وتناول أحد الكتب وفتحها؛ ليمتصه الكتاب بداخله ولتبرز دوامة من الأضواء ليشاهد عبرها أمه وجدته اللتين زيفا موتيهما يلوحان له؛ ليعودا أسرة من جديد في عوالم لا يعرفها إلا القراء المخضرمون.

لحظات وظهر ذلك الكائن أزرق البشرة، أصفر العينين، أصلع الرأس، يتقدم منه وهو يمد يده بعملةٍ معدنية كالتي توجد في يده؛ ليقول:

– امنحني حياة جديدة.

فهم (عمر) على الفور معنى عبارته فأشار له إلى المكتبة لينتقي منها ما يشاء من كتب. وهو يفكر أن المعرفة لا تقتصر على البشر وحدهم، وهو ما أكده ظهور ذلك العفريت بأذنه المدببة ونظرته الحادة وعملته الذهبية.

كان ما مر على (عمر) أكثر من طاقته واستيعابه، فتكور على أحد المقاعد ونام.

وعندما تنفس؛ تنفست معه المكتبة وشعرا سويّا بالحياة.

وفي عقله تردد صوت جده الرخيم:

– إن كل مكتبة تخفي بداخلها سرّا أزليّا أو كونيّا، ولكن لا أحد يفصح عنه أبدًا.. عليك فقط أن تقرأ لعلك تكون سعيد الحظ وتتعثر به.

ظلال الموت

– في نهاية الزمان؛ لن يكون البشر هم الأمل.

– ومتى كانوا؟!

* * *

أعلن المؤشر عن مرور خمسة وثلاثين عامًا، كما أعلنت باقي الأجهزة عن خلو جو الأرض من الإشعاعات الذرية التي نتجت عن الحرب المدمرة الأخيرة، وبدأ الكمبيوتر الكمي العملاق بإعادة تشغيل باقي الأجهزة بطاقتها القصوى؛ ليبدأ تسلسل الرصد الكامل وبدأ تطبيق برتوكول إعادة الأعمار.

جاب القمر الصناعي الملحق بالمقر كافة أنحاء الأرض، وبث تردداته الفائقة لكل مكان على وجه البسيطة، ثم بدأ يتدرج في سبل البحث الطيفي و الحراري فالبحث بواسطة كاميرات التصوير العادية، ورغم ذلك كله كانت كل النتائج سلبية.

لا أثر للبشر.

لم يتم رصد إلا مستعمرات عملاقة للصراصير وبعض الكائنات الدقيقة، وبعض الحيوانات التي

تحورت إحيائيًا، وأيضًا بعض النباتات التي قاومت الشتاء النووي، في العصر الجليدي المؤقت.

ولكن البحث لم يتوقف، فالشيء الجيد في الآلات أنها لا تتعب، ولا تشعر بالملل ولا تأبه بمضي الزمن.

لذا فإنها بدأت عمليات بحث أكثر دقة استغرقت عامًا كاملًا بكافة الوسائل المتاحة حتى أن الكلاب الآلية جابت الأرض وبحثت في كل مكان، وتسلقت الجبال ونبشت الصحاري وغاصت في أعماق البحار دون كلل، وبرغم كل ذلك لم يحرز أي تقدم يذكر.

كل الملاجئ النووية التي عثر عليها كانت في حالة سيئة، وأغلبها كان مدمرًا وخالي من الأحياء.

لم تنج أي من الملاجئ برغم كافة التحصينات التي اتخذت عند بنائها، فمن الواضح أن الملاجئ النووية كانت عرضة للقذف المباشر بالأسلحة المختلفة، والشيء المؤكد أن الأسلحة كانت مروعة في قوتها وتدميرها. فالمخابئ دفنت وطمرت تحت آلاف الأمتار من الأنقاض والصخور.

لقد كانت الحرب الأخيرة هي حرب الفناء والنهاية.

لم يترك خبراء الشر الاستراتيجيين أي مجال لوجود أحياء، إذ قامت الحرب الأخيرة وكل دولة من الدول

المتناحرة كانت تعرف أماكن الملاجئ النووية لعدوتها. ومخازن الأسلحة ومواطن الضعف بالأخرى؛ لذا تم إدراجها ضمن خطتها المرعبة للحرب الشاملة.

استمر سيناريو الحرب في التصاعد دون أن يكون هناك كابح ولا رادع.

حتى الموت لم يكن رادعًا كافيًا!

هل هو الجنون؟!

هل هو الغرور البشري؟!

هل هو الغباء والحمق؟!

لا أحد يعرف ولن يعرف أحدًا أبدًا!

كان المخبأ النووي الحالي هو أحد أكثر الأماكن السرية على وجه الكون، و قد تم إنشاؤه كاحتمال ثانوي في خطة «يوم الحساب» التي وضعها الخبراء كخط دفاعي أخير مع احتمال قيام الحرب الشاملة.

لم يكن المخبأ يحتل أكثر من مساحة مول تجاري ضخم في باطن الأرض في أحد المواقع الصحراوية المتطرفة البعيدة عن الصدام المباشر. وتم تزويده بكل ما يصلح لإعادة الإعمار.

فبداخل الكمبيوتر الكمي الفائق التطور؛ تم حفظ نسخة رقمية من كل علوم وفنون وآداب الأرض.

كما تم إنشاء مخزن سفلي يحتل مساحة المخبأ بالكامل، وتم تزويده بروبوتات مختلفة الوظائف تحتوي عقولها الإلكترونية على آخر نسخة من نسخ الذكاء الصناعي توصلوا إليها قبل قيام الحرب الشاملة.

لكل روبوت وظيفة محددة، فهناك من يقوم بتعليم الناجين كيفية شق الطرق، ومن يعلمهم كيفية حفر الآبار، ومن يعلمهم الزراعة. كما أن هناك عدة روبوتات مسلحة كانت مهمتها الذود عن الناجين، وحمايتهم من الأخطار المختلفة التي ستواجههم بعد محنتهم الرهيبة، وتم أيضًا توفير جناح طبي كامل للإشراف والاختيار والفرز.

فلن يسمح بأي حالٍ من الأحوال بوجود عناصر مصابة أو متحورة جينيًّا، خاصة في المرحلة الأولى لإعادة الإعمار.

كان هذا المخبأ بمثابة الأمل الوحيد للكوكب الذي يمر بمرحلة النقاهة بعد أن شفي من مرض الحرب النووية الأخيرة.

ولكن أين البشر الذين سيطبق عليهم تلك الخطة المحكمة؟!

لقد قام الكمبيوتر بتفعيل مراحل الخطة كأروع ما يكون..

في البداية وبعد التأكد مما ذكرته المؤشرات؛ قام بإرسال فرقة روبوتات للاستطلاع، و بعد تأكده من عودة جو الأرض لطبيعته وصلاحيته لحياة البشر. قام بإطلاق القمر الصناعي المتطور الذي تم صنعه لأغراض البحث والاستكشاف، وتأكد من استقراره في مداره ثم فعل أجهزة البحث بداخله. ليبدأ الآليين في انتقاء أفضل الأماكن لإعادة إنشاء أولى المدن، والتي ستكون اللبنة الأولى لإعادة إعمار كوكب الأرض بالكامل. وكخطوة أخيرة قام بإطلاق كلاب البحث الآلية للعثور على الناجين.

مر عام كامل والقمر الصناعي لم يكف عن مسح سطح الكوكب، والآليون لم يتوقفوا لحظة واحدة عن البحث، وعن تأهيل الأماكن التي ستقام فيها المدينة الجديدة.

عام كامل انقضى. اثنا عشر شهراً، ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً، دون العثور على ناج واحد.

لم تشعر الآلات باليأس أو القنوط، فهي غير مبرمجة للإحساس بهذه المشاعر التي انقرضت مع الجنس الزائل.

واستمر الأمر لعامٍ آخر وتلته أعوام.

وفي السنة السابعة جاءت البشارة.

لقد عثر أحد الروبوتات على موقع يعتقد أن به بعض الناجين.

استغرق الأمر من الكمبيوتر عدة ساعات حتى استطاع توجيه القمر الصناعي للموقع الذي كان يقع أسفل غابة ضخمة من الأشجار العملاقة المتشابكة، والتي كانت من قبل صحراء مترامية الأطراف.

لم تضع الروبوتات الوقت، فقاموا بإزالة الأشجار في مساحةٍ نصف قطرها خمسين مترًا، مما سهل على القمر الصناعي رصد الموقع وتحديد مداخله وممراته و الخريطة الكاملة لبقايا المبنى المطمور.

وبكل دقةٍ وإتقان وسرعة وصلت مجموعة متنوعة من الروبوتات، وخلال عدة ساعات كانت قد قامت بشق الطريق هابطين به عبر أنفاق ذلك المقر السري، والذي كان مسجل على جدرانه عبارة دعائية

تتكرر في إصرار عن شركة « المستقبل» للسياحة. بحث عنها الكمبيوتر في ذاكرته، واستغرق وقتًا كبيرًا حتى توصل إلى إعلان مهمل تم وضعه ضمن بعض البرامج التعليمية التأهيلية المتقدمة التي كان سيتم تعليمها تدريجيًا للبشر في مراحل متقدمة.

وكان نص الإعلان كالتالي:-

(تعلن شركة « المستقبل» السياحية عن بدء برنامجها شديد التطور للتجميد البشري، والذي يوفر لأصحابه الفرصة لرؤية المستقبل مع احتفاظهم بشبابهم وخلاياهم الشابة محفوظة داخل برادتنا الآمنة.

إذا كنت مريضًا ولم يتوصل الطب لعلاجك ففرصتك معنا للبحث في المستقبل عن العلاج الشافي.

إذا كنت شغوفًا برؤية أحفادك وهم في سن الشباب والرجولة، ففرصتك معنا لتتمتع معهم بشبابك.

إذا كنت تبحث عن المغامرة ففرصتك معنا لترى ما لم تكن تحلم برؤيته.

لا تتردد وأرسل لنا ٧٥٠٠٠ ألف وحدة نقدية لإثبات جديتك، وخلال ساعات يصل لك مندوبنا مع كل التفاصيل.)

ازداد الأمل بنسبة ٥٠% للعثور على أحياء.

وبكل مهارة ودقة قام أحد الروبوتات المتخصصة بتوصيل كمبيوتر الإعاشة بداخل ذلك المقر بالكمبيوتر الأم، عن طريق مودم لاسلكي خاص متصل بالقمر الصناعي. وبدأت المعلومات تتدفق دون توقف إلى الكمبيوتر الأم.

وخلال ذلك الوقت عثرت الروبوتات على عشرة حاويات ضخمة تحتوي بداخلها على عشر أجساد بشرية في حالة تجميد كاملة.

وعن طريق القمر الصناعي قام الكمبيوتر بتفعيل تعليمات الإنعاش، واستمر بمتابعة الأمر بكل اهتمام.

في البدء فشلت خمس حاويات في عملية الإنعاش، وفقد خمسة بشريين حياتهم وانخفض الأمل إلى النصف.

ومع الوقت بدأ الأمل يذوي، فثلاثة من الخمسة الباقين؛ فقدوا حياتهم بعد إفاقتهم بنصف ساعة.

لم تتحمل خلاياهم تلك التغيرات الكبيرة التي حدثت على مدى أربعين عامًا، وهي فترة التجميد والتي سبقت الحرب الشاملة بخمس سنوات كاملة دون متابعة أو عناية.

تم نقل الاثنين الباقيين إلى الجناح الطبي على عجل، مع حرص شديد في عدم تعريضهم للأخطار في الطريق الطويل غير الممهد.

وكعادة الروبوتات في إتمام المهام بدقةٍ وإتقان تفوق البشر مئات المرات، تم نقلهم إلى الجناح الطبي دون أن يصابوا بخدش أو تدهور.

ثلاثة أيام كاملة تحت الرعاية الفائقة في الجناح الطبي؛ أتت بنتائج مرضية.

فالشاب والمرأة استيقظوا في صحة جيدة، والمؤشرات الحيوية المبدئية دلت على ذلك.

استغرق الأمر معهم عدة أيام أخرى حتى استوعبوا ما حدث، وعبروا بصعوبة صدمة أنهم آخر البشر على سطح الأرض، وأنهم الأمل الوحيد والباقي لإعادة إعمار الأرض.

آدم وحواء ما بعد الحرب الشاملة.

الشاب لم يتجاوز الثامنة عشرة، والمرأة في السادسة والعشرين، ولكن كل الظروف التي تحيط بهم لم تكن لتعطيهم فرصة لمناقشة هذا الأمر أو الخوض في تبعاته.

كان الشاب دائم المرح خفيف الظل، وقد دخل برنامج التجميد بعد أن ورث ثروة طائلة عن جده أحد أباطرة النفط في العالم القديم، وقرر أن يخوض المغامرة ويذهب إلى المستقبل في رحلةٍ مجنونة طوال خمسين عاماً.

فبعد اكتشاف عقار التجميد البشري؛ بدأت الشركات العملاقة في استغلال هذا الأمر من الناحية الاقتصادية، ودخل التجميد ضمن الأنشطة السياحية كسياحة مستقبلية.

حاول الفتى كثيراً التقرب من المرأة، ولكن الأمور لم تكن تسير معها على ما يرام، دون سبب واضح.

كانت تصده دائماً بمناسبة وغير مناسبة.

كانت دائمة التجهم. وكأنها تحمل بداخلها أحزاناً وهموماً لا تنتهي ولا تفصح عنها.

حاول أن يخفف عنها. أن يتقرب منها. أن يواسيها. ولكنها كانت تتجنبه كالطاعون.



– لقد التحقت ببرنامج التجميد كي أصبح امرأة كاملة، فبعد أن تعرضت لصدماتٍ نفسية عنيفة من زوجي وأهل زوجي؛ قررت الطلاق ثم بعت ميراثي وأضفت عليه مدخراتي، ووضعتها في حسابٍ جارٍ لصالح شركة « المستقبل» السياحة، وتمت عملية التجميد.

تململ الفتى في مكانه، وهو يرهف سمعه كيلا يفوته أي همسة من الحديث.

كان يتمنى لو يقاطعها ويخبرها أن كلامها كله لا طائل من ورائه فلتدخل في صلب الموضوع مباشرة. هو لا يريد إلا النتائج، ولكنه لم يستطع كي لا يفسد الأمر فتمنى أن يفعل الكمبيوتر ذلك.

وفي نفس اللحظة ارتفع الصوت البارد للكمبيوتر:

–« ولكني لم أصل لسبب حزنك حتى الآن، وما معنى امرأة كاملة هذه ؟!»

سالت دموعها بغزارة وشهقت لتسمح ببعض الهواء ليغمر رئتيها، وقالت:

« لقد التحقت ببرنامج التجميد كي أعبر السنوات الصعبة نحو المستقبل.. على أمل أن يجدوا علاجًا لحالتي وسبب وجيعتي.»

قال الكمبيوتر بحيادية:

– « أي مرض! إن جسدك سليم تمامًا كما تخبرني كل المؤشرات الحيوية المسجلة لدي.. و»

قاطعته قائلة بصوت متهدج متخاذل:

– « لا داعي للف والدوران، فقد تعبت من كثرة خجلي من الأمر برغم أنه لم يكن بيدي..إنني عاقر.. عاقر.»

وأسقط في يد الفتى، وهبطت نسبة الأمل لدى الكمبيوتر إلى الصفر، أو إلى ما تحت الصفر.

وبسط ظل داكن أجنحته على الجميع.

ظل الموت.

فلا أمل لذلك الجنس البائد في الحياة من جديد.

فقط عشرات السنوات ستمر .

ويهرم الاثنان.

ويموتان.

ولا يتبقى إلا الروبوتات.

التي ستواصل عملها بدورها بانتظار أمل قد لا يحدث أبداً.

العشاء الأخير

– هل الموت خيار جيد؟!

– نعم.. بشرطٍ واحد، ألا تكون أنت الوجبة التالية.

* * *

عبر بهدوء وخطوات واثقة الممر ضعيف الإضاءة الذي بدأت جدرانه ترشح نتيجة تسرب المياه عبر المواسير القديمة والمتهالكة المدفونة بداخلها، والتي صنعت برطوبتها عدة لوحات سريالية عجيبة لطخت شكل الجدران، وإن دل لونها الأخضر المائل للسواد أنه ليس مواسير التغذية فقط هي التي ترشح.

ربما أصبحت مواسير الصرف تدلو بدلوها في حفلة الرشح المقامة، وربما لهذا تغير لون المياه في الصنابير، ولكن من يأبه في مكانٍ قذر كهذا.

عرج بعدها إلى ممر أقصر له رائحة مكتومة ومنفرة، وهو يحمل بين يديه عصاً غليظة تم تغليفها بشريط لاصق أسود اللون، متجاهلًا غرفة الدراسة الكبيرة الموجود في نهاية الممر الحالي الذي قطعه في عدة خطوات واسعة، وهو يلقي نظرة مشمئزة على جثة فأرٍ نافقة لم يعتن أحد بإزالتها؛

ليدلف بعدها إلى المطبخ الكبير الذي تبعث الرائحة بداخله على الغثيان، وكأنهم لا يطبخون فيه إلا القذارة والحيوانات النافقة.

كانت ضوضاء المراجل عالية لابد وأن آلية التسخين قد فسدت ككل شيء في هذا المكان الذي يتجاوز عمره الخمسين عاماً، والأصوات العالية تثير أعصابه بطريقةٍ لا تحتمل؛ لذا نظر نحو أعين الأطفال الهلعة، والذين بدأت أجسادهم ترتعش لمجرد رؤيته، وصرخ فيهم حتى ظهرت عروق رقبته:

– الصمت.. الصمت..

كان الصمت يغلف المكان بالفعل، فقط صوت غليان الماء هو ما يوتره وربما شيء آخر؛ لذا فإنه تجاهل الصوت وقال:

– لتنصتوا لي جميعًا أيها الحمقى، ولتستمعوا جيداً لموضوع محاضرتكم الأخيرة في هذه الحياة؛ وهو موضوع محبب جدّاً لدي، ولا يهمني إن كان يروق لكم من عدمه. فأنتم حثالة لا هم لها إلا قطع اليد التي تمتد إليهم بالإحسان.

وبرغم موقفهم الدقيق؛ ظلت نظراتهم اللزجة غير المهتمة تقتل بداخله كل حماس، ولكنه أكمل بصوتٍ صارم مرتفع ليمنح ما يقول أهمية زائفة:

– وموضوع المحاضرة الشيق اليوم؛ هو الانتحار.. سنتحدث اليوم عن الموت بكامل إرادتنا الحرة.. وهو موضوع مثير دون شك.. هل هناك من يشكك في كونه مثيراً.. إذا ألف لعنة عليه، بل ألف ألف لعنة عليه.. فلتنصتوا لما أقول..

(همهمات ضعيفة معترضة)

يبدل من وضعية وقوفه، وهو ينظر للعيون التي تسبه وتلعنه وتصفه بالجنون.

كريهة هي عيون الأطفال خاصة عندما تمتزج بكل هذا الكم من الوقاحة، لابد وأن هناك مكاناً في أعماق الجحيم خصص لأمثالهم..

يترجم نظرات العيون قبل أن يقول وقد عاد له هدوءه:

– أمم.. لم ينطق منكم أحد.. جيد.. ربما أعصابي أنا المثارة.

النظرات اللزجة تثير أعصابه أكثر، النظرات الصامتة تهزمه، إن إرادته تنكسر في معركةٍ لم يخضها من الأساس فيردد في توتر:

– نعم أعصابي مثارة.. ولكنه ليس موضوعنا اليوم، أقول لكم؛ الرغبة في الانتحار رغبة ملحة جداً.. من منا لم يفكر فيها مرة واحدة على الأقل في حياته، من على هذا الكوكب الكئيب لم يفكر في وسيلةٍ يخرج بها من هذه الحياة القاسية لينهي معاناته..

الحياة ليست جميلة كما يقولون، إنهم أوغاد ويخدعونكم. فمن الثوابت أننا في لحظةٍ ما سنفقد شخصاً عزيزاً علينا؛ سيمرض شخص قريب من قلوبنا.. سيغادرنا شخص ربطنا به حياتنا، وسيخوننا من منحناه ثقتنا الكاملة.

الحياة مجموعة من الأخبار السيئة المتلاحقة..

ولو لم يحدث شيء من هذا، فنحن نعيش القلق أن كل هذا سيحدث..

أي جحيم هذا!!

الحياة تجربة قاسية جداً، ومريرة جداً، وربما لذلك كانت الجنة نعيم أبدي ستحظى به البشرية، لا أقل من ذلك كمكافأة لمثل هذه التجربة المروعة..

أراكم تنظرون لي نظرة أفهم مغزاها جيداً..

نعم ماذا عن النار ؟!

ماذا عنها أيها الأوغاد؟!.. كلنا نستحقها دون شك، كلنا كتلة من الآثام والأخطاء والذنوب..

أنا وأنتم نستحق الجحيم الأبدي..

تعرفون بالطبع ماذا أعد لكم أيها البلهاء؟.. هل تخافون النار، هل توقعتم أن النار في السماء فقط؟!..

تؤ تؤ تؤ ..

لقد أثبتم أن المصير الذي اخترته لكم يليق بكم..

خمس سنوات أدرس لكم العلوم المتنوعة في هذا الملجأ القذر، وأنتم كالأنعام. لا تفهمون ولا تفقهون أي شيء..

خمس سنوات وأنا معكم يا مجهولي الهوية.. يا لقطاء.. يا روث الأرض، وفي النهاية أطرد من وظيفتي وتتلوث صحيفتي وينقطع رزقي؛ لأنكم لا تتحملون الضرب بالعصي ولا بعض الركلات واللكمات، وأن هناك أحمقًا منكم سرب لي مقطع فيديو على شبكة الشيطان العنكبوتية؛ ليثور رأي عام بغيض لا يراكم إلا حشرات ينبغي عزلها وربما سحقها. أنتم تستحقون أن تعذبوا في معتقلات النازيين..

الحق والحق أقول..

جميعكم أمامي مذنبون.. جميعكم تسببتم في هدم حياة إنسان رائع مثلي؛ هل تعتقدون أن سارة سترأف بي؟!.. هل ستأكل من الأعذار؟!.. هل سترضع طفلتي الصغيرة الأعذار؟!.. هل ستشتري تبغها بالأعذار؟!

تؤ تؤ تؤ ..

أنتم هدمتم حياتي، ويجب أن أراكم تدفعون الثمن كاملًا.

كنت أتمنى أن أشعل النار في الملجأ كله لتحترقوا جميعًا، ولكني أطلب العدالة وليس الانتقام.

فقط أنتم الخمسة، كسنوات عملي في هذا المستنقع الآسن.. ستدفعون الثمن كاملًا..

هل ترون هذه الآنية الضخمة؟

تؤ تؤ تؤ ..

بالتأكيد صعب أن ترونها بل مستحيل، وأنتم مقيدون للسقف بهذه الطريقة.

ولكنكم بالفعل تشعرون بتلك الأبخرة الساخنة التي تحرق بطون أقدامكم.

إن الألم بادي من حركاتكم المنفعلة، وهو جزء يسير من العقاب.

إن ما توقعتموه صحيح..

بالطبع لن أحرقكم فأنا لست بهذه القسوة، النار المباشرة جحيم خالص، ومن حق الآلهة فقط وأنا بشري ضعيف.

فقط سأستخدم هذه الآنية العملاقة لتحتوي أجسادكم العارية؛ لأصنع منكم حساءً بشريًا لذيذًا..

فالحفل اليوم على شرفكم.

لن أسقطكم فيها مباشرة لتموتون.. أنا لست بهذا الغباء.. سأجعلكم تهبطون بداخلها ببطء..

سيموت الواحد منكم بعد الآخر.

وكلما كنتم مطيعين انتهى الأمر بسرعة والألم.. فقط لا تزعجونني وتؤخرونني عن السادسة مساءً..

طبعًا ستتساءلون لماذا؟.. من حقكم طبعًا.. المحكوم عليه بالإعدام له طلب أخير.

اللعنة لقد نسيت هذه النقطة..

تلك الكمامات اللعينة التي تغلق أفواهكم.. أممم.

لا يهم..

سأعتبر إجابة سؤالي هي مطلبكم الأخير ..

لو كان منكم شخص واحد لا يحمل في رأسه فردة الحذاء المعتادة بديلًا عن العقل لاستنتجتم الأمر ..

الأرض لا تتحمل كل هذا الغباء... لا تتحمله ..

لقد حدثتكم في البداية عن الانتحار؛ أنتم ستموتون جميعًا، لا مفر من ذلك. وأنا سأقتلكم ولن أدعكم تنتحرون، فهذا هو القصاص العادل.

من سينتحر إذًا؟!

سأخبركم أنا.. فلا فائدة منكم أبدًا.

القصاص العادل يجبرني أنا أيضًا على الانتحار، وأيضًا لسان سارة السليط.. لذا كانت المحاضرة كلها لتعلموا أن العدل يتحقق في النهاية.

وهذا هو الدرس الأخير ..

معلومة أخرى قد لا تهمكم:

إن الانتحار نفسه أهون من سارة.

كفى حديثًا وتضييعًا للوقت حتى لو كنت أنا المتحدث..

والسؤال المهم الآن:

هل نبدأ من الوغد الذي على اليسار أم الوغد الذي على اليمين؟!.

أممم.. أعتقد أني أشعلت النار من جهة اليسار، والماء الآن أكثر حرارة. إذًا سنبدأ باليسار وليهبط الجسد القذر الأول في إناء الماء المغلي.

والماء المغلي معقم ومفيد،

وهي معلومة لن تفيدكم في المكان الذي ستذهبون إليه..

هيا يا (يوسف) ستكون أنت الأول..

وكتمت الكمامة صرخات (يوسف) المعذبة..

* * *

وبعد عدة ساعات..

وفي الخامسة والنصف مساءً..

خرج المعلم من داخل المطبخ ليقابله أوجه أطفال الملجأ الجياع و الذين وعدهم بعشاءٍ أخير فاخر.. ابتسم ابتسامة واسعة ثم نظر نحو مجموعة منهم تحوم حول المكان وقال:

– من منكم أيها الصغار يريد تذوق الحساء، اللحم اليوم وفير ؟!

وفي الخلفية؛ دوت صرخات الأطفال المتحمسون، فصاح بقوة:

– الصمت..الصمت.

قبل أن يستطرد في صرامة:

– لتساعدوني في إعداد المائدة.. فأنا لا أريد أن أتأخر عن موعدي.

تبعه الأطفال وانهمكوا في نقل صحاف الحساء الحارة إلى المائدة، وجلس كل منهم ينتظر إشارة البدء ليبدأ في تناول حسائه والجوع يقرص أحشاءهم..

في حين وقف المعلم مبتسمًا يتابع نظراتهم النهمة، قبل أن يشير لهم لينقضوا على الطعام ليفتكوا به..

ظل المعلم يراقبهم في تركيز وهم يتناولون الطعام في نهم لينهون آثار جريمته.

اللحم البشري لذيذ كما قرأ من قبل، وكما يرى في وجوههم المستمتعة، والمعدة البشرية قادرة على هضمه واستساغته. لقد كان لهؤلاء الأوغاد الخمسة فائدة في النهاية.

السعادة والدفء يتسللان إلى وجوه الأطفال، في حين يتسلل البرد والقلق لروحه المجهدة.. فيتحسس المسدس البارد القابع بداخل معطفه ليرتجف جسده.

الكهرباء تنقطع فيحضر الأطفال الشموع؛ ليصبح المكان أكثر حميمية وجاهزية لما نوى عليه..

يتأمل الوجوه التي كستها الظلال قبل أن تفاجأه فكرة، فيقطع على الأطفال طعامهم قائلًا بصوتٍ كالرعد:

– في الصباح عندما تأتي زوجتي سارة بحثًا عني – وهي ستأتي لتبحث عن بقرتها الحلوب، لاشك أنها

ستأتي – أخبروها أن الأعذار لن تدفع فاتورة الكهرباء أيضًا.

ثم انطلق يضحك في هيستريا بعد أن أعجبته الدعابة...

وأخذت عقارب الساعة تقترب من السادسة في سرعةٍ رهيبة.. والمسدس في يده يزداد ثقلًا وبرودة.

أغنية الغضب

– الكلمات سلاح خطير .

– ولكن الجهل سلاح أخطر .

* * *

أتى الغضب مثل المد، ولم يستطع أحد أن يوقفه.

الجماهير غاضبة، والشغب في كل مكان.

لن نتحدث عن الضحايا لأنهم في كل مكان.

لن نتحدث عن التلفيات لأنها لم تترك أي شيء.

لن نتحدث عن الأمن لأنه يقمع الجميع بنفس الكفاءة والهمة.

لن نتحدث عن الموت لأنه أصبح الحقيقة المؤكدة لكل من يخرج إلى الشارع.

لن نتحدث عن الحياة لأنها توقفت تمامًا بعد فرض حظر التجول.

هل نحن في زمن الحرب؟!

بالطبع لا.

إننا في زمن الثورة شبه المسلحة.. لماذا ليست مسلحة كاملة ؟!

لأننا لن نقارن بعض بنادق الليزر والبنادق الارتجاجية بترسانة الدولة الحربية.. ولا مانع من عدد من القنابل اليدوية وعدة قنابل منطقية لتعطيل النظم الإلكترونية، ولكن لاشيء أكثر من ذلك.

عرفنا جميعًا الظروف السيئة المحيطة، فلا يوجد ما يمنعنا من التحدث عن الأمر الهام الذي بدأت من أجله حكاية هذه القصة.. وصدقوني لن أطيل عليكم، فأنا أشعر بأنهم توصلوا لمكاني.

وعاجلًا أو آجلًا سيكونون فوق رأسي يرددون أحكام قانون الطوارئ و..

– إززززز ..إززززز..إززززز.

ينطلق الشعاع المهلك ويمحو اسمي من سجل الوجود.

لن أقول لكم بأنني قائد المقاومة، ولكنني أحد قادتها وحتى لا أبخس الأمر قدره أخبركم بأني المؤسس لكل هذه الفرق المسلحة، التي تصلي

النظام والحكام الويلات وتجعل أيامه إلى الجحيم أقرب.

سأقص عليكم القصة من البداية كما تعودت دائمًا، وبرغم ثقتي من أن بعض الجالسين ليسوا على مستوى الثقة التي منحتها لهم؛ إلا أني لن أقطع عادتي وسأسرد عليكم القصة من البداية لاختيار شعار العملية القادمة.

همهم الجميع وهزوا رؤوسهم، ولمحت بينهم أحد الأشخاص المتوترين بعد أن استفز حديثي مشاعره.

فلننهي في البداية القصة ونختار الشعار ، وليكن لي معه حديث آخر.

بدأ الأمر بتولي ذلك الهجين الإيطالي حكم أقوى دولة في العالم، والذي تنتمي أصوله إلى تلك الدولة عن طريق أمه الأمريكية، وبرغم انتشار إشاعة انتمائه للمافيا؛ إلا أن الشعب انتخبه.. ربما لأنه وقر في قلب الشعب أن هذه الفترة الحرجة من التاريخ تحتاج إلى سفاح.

فبعد الحرب الأخيرة، والتي عجزت فيها كل الدول عن استخدامها لأسلحة الدمار الشامل.. بعد أن انتشرت هذه الأسلحة وأصبح الحديث منها يباع في

السوق السوداء لصالح من يدفع أكثر؛ تغيرت موازين القوي وتحولت أمريكا مع بعض حلفائها إلى مجرد دول عادية، أقرب إلى دول العالم الثالث ولم يعد صوتها مسموعاً ولم تعد لقراراتها تلك القوة القديمة.

عشرة أعوام بعد الحرب حاولت الدول أن تستعيد توازنها وسيطرتها على الأمور، وبالفعل استطاع العقل البشري الذي شطر الذرة وجاب الفضاء؛ أن يعيد زمام الأمور إلى يديه.

انتهت المجاعات وعاد النظام إلى الدول التي لم تفنيها الحروب، فبرغم عدم استخدام تلك الأسلحة المدمرة المشعة؛ إلا أن باقي الأسلحة النظيفة والتي تطورت مع الزمن كانت كفيلة بمحو شعوبٍ كاملة من على خريطة الوجود.

وبعد الاستقرار وعودة الأمن لفرض سيطرته على الشوارع، وبعد أن سيطر العسكريين على مقاليد الحكم كعادة الأمور دائماً بعد الحروب؛ بدأت العمليات المنظمة لاستغلال فترة الحرب وما بعدها، وبدأ بعض الأشخاص يثرون ثراءً فاحشاً على حساب الشعب.

في هذه الفترة تحولت دولتنا العظمى إلى دولة تشبه دول العالم الثالث.. حتى أن أحد وزرائها كان

ضخم الحجم له كرش كبير كما هم بدائي العالم الثالث.

وتوزعت ثروات البلاد بين عدة أشخاص مسؤولين في الدولة، وأصبح الشعب يعاني الفقر والبطالة والحاجة وانتشرت الجرائم كما لم يحدث من قبل.

وتحولت أحياء كاملة إلى إدارة الجريمة المنظمة، ولم تعد السينما تعرض إلا أفلام العصابات والقتلة والمرتزقة ومدمني المخدرات.

إن الفن يتلون كما الحرباء ليلائم كل التغيرات التي تحدث في المجتمع، فلو كنا في المدينة الفاضلة (يوتوبيا) لشاهدنا أفلامًا رومانسية ممتلئة بالزهور والطيور والنساء الرقيقات.

ولكننا الآن في زمن المعاناة الأسود، فلا أقل من انتشار الأفلام التي تناسب الذوق العام المنهك.

أشعر بأنني أطيل في الوصف والحديث، ولكني لا أستطيع أن أتخلى عن نزعة إعلامكم بكل التفاصيل وتعليمكم المزيد عما يحدث، فمهنتي القديمة دائمًا ما تغلب دور المقاتل في كل شيء.

بالطبع توقع الجميع؛ ماذا كان عملي قبل هذه الأزمة؟!

بالفعل كنت أعمل مدرسًا للموسيقى.

لا تبتسموا بخبثٍ فالروح التي تتذوق الموسيقى، وتسبح معها في دنيا العذوبة والرقة هي نفس الروح التي تشعر بالمعاناة وسوء الأمور أكثر من غيرها، وهي نفس الروح التي تثور أكثر من غيرها.

يقولون دائمًا أن معظم النار من مستصغر الشرر.

ولكن كيف الأمر والأمور مشتعلة سلفًا، ولا تنتظر إلا ضغطة واحدة لحدوث الانفجار ؟!

كيف بدأ الأمر معي؟!

كما تبدأ كل الأمور العظيمة والسيئة معًا.

بدأ بفكرة.

وليست كل الأفكار ككل الأفكار .

كانت فكرة حالمة ولكن صداها كان كالانفجار، ففكرتي جمعت شعبًا بالكامل وأشعلت غضبه على أنغام الموسيقى.

بدأ الأمر بأغنيةٍ ذات طابع حماسي أعجبت أصدقائي المقربين، وأثارت حماسهم ثم توالى الأمر .

كانت كلمات الأغنية نابعة من قلبي المقهور، وألحانها هي عصارة روحي النازفة؛ لذا فإنها تسللت إلى القلوب المنهكة، وزرعت بداخلها تلك النبتة التي لم تكن لترتوي دون دماء.

نبتة الغضب والثورة.

ومع مضي الوقت أصبحت الأغنية هي شعار المقاومة الوحيد.

انتشرت الأغنية كالنار في الهشيم، وبعد أن رددتها كل شفاه غاضبة؛ بدأت المناوشات في كل مكان وأصبح النظام الحاكم القمعي يعيش في توترٍ وقلق دائمين، وببطءٍ بدأت تتكون خلايا المقاومة التي تشعبت كأخطبوط غاضب.

بداية تكوين خلايا المقاومة لم تكن متشابهة أو حتى منظمة.

كنا في البداية أربعة أصدقاء، جمعتنا كلمات أغنية تبحث عن الحلم المتواري بداخل الصدور، تلك الأغنية التي ألهمت شعباً كاملًا طريقه، وحددت مسار التاريخ في الحقبة الجديدة.

هل تعرفون شعور الضياع، هل تعرفون تلك اللحظة التي يتساوى كل شيءٍ في الكون ويصبح

بلا قيمة، هل تعرفون تلك اللحظة التي تتساوى فيها الحياة مع الموت.. ولا يأبه المرء بأحدهما؟!

لو كنتم تعرفونها فقد وفرتم على عناء الشرح، ولكن لمن يخجل من إظهار عدم معرفته، أو ظهوره بمظهر الجاهل وإن كان هذا فضيلة غير محمودة.

إليه فقط سأتحدث في هذا الجزء.

كنا قد اجتمعنا بحكم العادة جميعًا على مقهى شعبي من تلك المقاهي المنتشرة في كل مكان، تلك المقاهي التي تمددت كالسرطان وتشعبت حتى كاد أن يكون لكل مواطن مقهاه الخاص.

إنها حالة الركود اللعينة، والتي جعلت البطالة تطال ما يربو على نصف شباب هذا الشعب.

تلك الطاقة التي تم إهدارها وتركها لتتبدد على الكراسي الخشبية القديمة للمقهى وسط سحب الدخان وضجيج اللاعبين، الذين استبدلوا معظم حديثهم بالسباب كوسيلة عجيبة لإفراغ التوتر الذي زرعه اليأس بداخلهم.

لقد حول النظام الحاكم الشعب إلى مجموعة من العاطلين فاقدي الأمل في التغيير أو الحياة.

وأصبح الشعار الرسمي»دع اليوم يمر ولا تبكي عليه» على أساس أن اليوم الذي انقضى قد حذف معه فترة جديدة من المعاناة.

هكذا هي الحياة في ظل النظم الدكتاتورية.. عالم كامل من البلادة وانعدام ردود الأفعال.

ولكن وكما يخبرنا التاريخ، لابد أن تأتي رياح التغيير .

فمن قلب كل هذا الركود والفساد ومن أعماق القهر؛ لابد وأن تخرج الشرارة، وهذه الشرارة كانت تلك الأغنية.

أغنية الغضب.

* * *

الوقت الدائم والمحفوظ لتجمعنا هو العاشرة مساءً، لن أتحدث عن مشاعر الجميع أو عن طموحاتهم وأحلامهم؛ لأن مثل هذه الأشياء تبددت من قواميس الحياة الآن.

إننا في ذلك الزمن الأسود.

زمن الدكتاتور.

لا أعرف لماذا أسهب في الحديث دائمًا؟!.. هي عادة مقيتة ولكني لا أملك أن أتخلص منها.

سأخبركم بالأمر مباشرة.

فبعد أن شاهدنا عدة أغنيات مصورة على شاشة المقهى المسطحة، وسممنا أرواحنا بتلك المشاهد البذيئة، ولوثنا آذاننا بتلك الأصوات الغريبة التي تصر على كونها تغني.. وأنا يعجبني فيها الإصرار ولا يعجبني الغناء.

شعرت بالملل وأجبرت الجميع على مرافقتي إلى خارج المقهى.. أردت أن أخرج من هذا الجو المسموم الرتيب إلى جو آخر ولو حتى كان أكثر رتابة.

المهم أن يحدث التغيير .

ولم يكن القدر بخيلًا كعادته. لقد خرجنا من المقهى إلى الميدان مباشرة، ووجدنا إحدى سيارات الشرطة التي تخصهم.

نعم فالشرطة في خدمة النظام الحاكم لا الشعب.

كانت شرطتهم تراقب كل شيء وأي شيء، فحينما يصبح الدكتاتور قلقًا ينتقل التوتر والتحفز

إلى زبانيته.

وبكل صلفٍ وغطرسة أوقف أحدهم إحدى فتيات الليل، والتي كانت تردد الأغنية بلا وعي وبدأوا في الإساءة إليها.

هل كان الأمر يستحق ما حدث بعدها؟!

هل كل العنف الذي اجتاح البلاد كان مبرره الذود عن هذه العاهرة؟!

بالطبع لا.

كانت القلوب قد بلغت الحناجر وأصبح الأمر لا يطاق، فالثورة تسكن القلوب والجميع مهيئين للانفجار، ولكنهم يكظمون غيظهم بصدورهم.

كان الأمر يحتاج إلى شرارة صغيرة ليندلع بركان الغضب الساكن.

وكانت هذه هي الشرارة.

في هذا الجزء حقيقة كانت الأمور مشوشة كثيراً، فلا أعرف بالتأكيد إن كنت أنا من هشم رأس الشرطي أم أنني من قام ببقر بطن زميله.

المهم أننا قمنا بالمهمة وساعدنا فيها بعض الشباب المتحمس، ثم بدأت موجات الغضب تجتاح كل شيء.

أسميتها أنا الغضب، وأطلقوا هم عليها الشغب.

كنا قد توارينا وتركنا ميدان المعركة بعد أن أشعلنا فتيلها .

لم يكن جبنًا بقدر ما كان صدمة، مع الوقت بدأنا نتحمس لنتيجة ما فعلنا وبدأنا في إنشاء الخلية الأولى.

وطوال عدة أشهر تصاعدت حدة التوترات، وأصبح أمن البلاد في خطر.. أمن الحاكم.

وأخذت الأغنية تتردد على كل الألسنة.

فللكلمات الصادقة قوة كاسحة.

ولكن ليس دائمًا ما تسير الأمور كما نشتهي.

فللنظام الحاكم قوته وهيبته وجواسيسه، وتأكدت من ذلك عندما سقط أولنا.

متى سقط؟!

لا أذكر تمامًا، ولكنه سقط وبعدها سقط الجميع.

وبالطبع لم أكن معهم.

ولكن العملية مسألة وقت.

أنا أعرف مصيري مقدمًا، ولكني الآن أعرف أن ثمني ارتفع.

لقد صار غضبي مكلفًا وكلماتي أصبحت تتحول إلى قنابل، وخيوط من الآشعة تلتهم هؤلاء الطغاة، لقد أصبحت رمزًا وأصبحت كلماتي نشيداً قوميّا.

إنني الآن الأب الروحي للثورة.

وبرغم شكي في وجود من يتتبعني، وبرغم شكي في كل من حولي، وبرغم ارتفاع قيمة الحياة أمام عيني.. إلا أنني أقسم بألا أموت إلا وابتسامتي على وجهي.

هذا هو شعار العملية القادمة.

قلتها وأنا أتفحص وجوه رجال المقاومة المنبهرة من حديثي، ثم أشرت للشاب المتوتر أن يتبعني.

فلي معه كلمتان.

DSL ٩٩٩

أين يسكن الشيطان الآن؟

– ألا ترى كل هذا الشر، لابد وأنه يسكن شبكة الإنترنت منذ زمن بعيد.

* * *

ذات ليلة سوداء زارني الشيطان في المنام، وأخبرني أنه يجد صعوبة في الاتصال بالبشر، وخاصة مع هذا الجو الإيماني العميق الذي أظل العالم كله بمظلته الطاهرة.

وهو إيمان ظاهري تزكيه قوات القمع الفاشية التي تتخفى خلف عباءة الدين؛ لتبسط سيطرتها على مقاليد حكم العالم الآن.. هذا هو إيماني الشخصي، بل وإيمان الكثيرين غيري.

وإن كان قلق هذا الشيطاني جعلني أتأكد؛ أنه بالقهر قد يمكنك أن تفرض الأخلاق الجيدة حتى يعتنقها العامة ويصيروا هم من يدافعون عنها.

وبالتالي يمكن فرض الإيمان بالعصي، والأيام كفيلة بإسكانه الصدور والعقول.

أعملت التفكير لدقائق وهو واقف أمامي يتململ، ولما طال صمتي قال بصوتٍ تملؤه الحسرة:

– « لقد اهتزت صورتي بشدة، وضعفت مكانتي بين بني جنسي.. فالبشر يتجاهلون وساوسنا ولم يعد هناك من ينصت لنا. إن القلوب عامرة بالإيمان.»

تردد بداخل ذهني إعلان ما فتئ يتكرر كثيراً على شاشة التلفزيون:

– « أسهل وسيلة اتصال بأحبائكم في كل مكان DSL ٩٩٩ ، أرخص وأجود اتصال DSL ٩٩٩»

وكما تأتي الأفكار العبقرية للمحظوظين كالبرق؛ طاردتني الفكرة فقذفتها في وجهه مباشرة وقلت له:

– « لماذا لا تشترك في DSL ٩٩٩ ؟!»

صعق من عبارتي، وقال غاضباً:

– « أتسخر من ملك الشياطين أيها الإنسي الفاني؟!»

قلت له بنفاد صبر :

– « اسمع كلامي، ففي الشبكة العالمية ينزع الجميع أقنعة الحياء، ويكونون مستعدين لممارسة كل العادات السيئة التي لا يمارسونها في العلن، إنه مسرح جيد جدّاً لممارساتك الشيطانية.»

غرق في تفكير عميق، وقال بعد برهة:

– « لا بأس، هل تعطيني كلمة سر شبكتك الخاصة؟!»

كان قد أصبح ضيفًا ثقيلًا ومزعجًا وأردت أن أطرده.. إلا أنني وجدته أمرًا غير لائق حتى ولو كان مع شيطان، فأعطيته كلمة السر وتركته لينصرف.

اليوم الأول:

– إن الاتصال ضعيف، أرجوك لتضبط المودم.

هوف..!!

اليوم الثاني:

– هل هناك بروتوكول معين لإجراء الأحاديث، فلا أحد ينصت لي؟!

هوف..!!

اليوم الثالث:

– أريد مساعدة منك للتسجيل في أحد المنتديات.

هوف..!!

اليوم الرابع:

– قطعت كل اتصال لي بذلك الشيطان الممل، وألغيت اشتراك الدي إس إل.

هوف..!!

اليوم الخامس:

يبدوا أن هناك مشكلة في الدي إس إل يجب أن أتصل بذلك الآدمي.

ترى ما هو رقم هاتفه المحمول؟!

هوف..!!

النداء

– إن كل الشر يرتع هنا في كوكب الأرض.

– لا تتحدث بثقة هكذا، فأنت لم تجرب بعد ارتياد الكواكب الأخرى.

* * *

تردد النداء غامضًا باهتًا مقبضًا.. بصوت أسود غليظ لو جاز للصوت أن يتخذ لونًا وقوامًا.

لم تكن المرة الأولى.

ولن تكون الأخيرة.

إنه سيبقى ما بقيت الحياة على كوكب الشر هذا.

لم أكن مطمئنًا من البداية لهذه الرحلة الملعونة، ولو أنني سرت خلف حدسي لما جلست في هذا المكان المقبض البارد.. أرتجف وحيدًا. ألتحف بالسماء وأعطي ظهري لهذا القمر الشاحب. وأستمع للنداء القاتل.

من أنا؟!

وهل ستختلف الأمور معك لو عرفتني؟!

أنا شخص ما، مجرد شخص رماه قدره الأسود على هذا الكوكب الوحشي.

أجلس وحيداً وسط بيئة معادية بالكامل بصحبة مفكرتي الإلكترونية؛ أدون فيها ما حدث لي ولرفاقي خلال هذه الرحلة الملعونة.. لعل هناك من يقرأها ذات يوم، فينجو من مصير أسود متربص بكل من يهبط على هذا الكوكب الملعون.

أعرف أن أسلوبي يفتقر للياقة، ولكن هل هذا سيصنع فارقًا مع شخص يجلس وحيداً فوق كوكب غريب.. ينتظر الموت جوعًا وعطشًا، أو الموت على يد الكائنات الهمجية الشبيهة بالبشر .

قد أتجاوز عن كل هذا، وأخبركم برقمي الكودي:

فأنا رقم (٣١٣) قبطان السفينة الفضائية المنكوبة (رحيل).

كلفنا المجلس الأعلى لكوكب الأرض المنكوب باستكشاف كوكب غامض.. يوجد في مجرة (اندروميدا) أقرب المجرات إلينا. حيث أثبتت الأبحاث والدراسات التي تمت بواسطة تلسكوبات الفضاء الهائلة شديدة التطور عن أن هذا الكوكب يشبه

مناخه المعتدل مناخ كوكب الأرض. ولديه غلاف جوي به نسبة عالية من الأكسجين؛ تتيح الحياة على سطحه مع تشابه عجيب لنسبة ثاني أكسيد الكربون.

كان العثور على هذا الكوكب بمثابة العثور على فرصة ثانية للحياة.. بعد أن أصبح البشر على مشارف الفناء.

فقد أوشك كوكب الأرض على استنفاد موارده، واجتاحت المجاعات والحروب كل مكان في الكوكب المحتضر.

وكوسيلةٍ أخيرة للتغلب على هذه المشكلة الضخمة؛ تم اعتماد برنامج الفضاء القديم (الأمل) بعد تطويره، والذي اقترحه عالم لم أعد أذكر اسمه منذ سنوات عديدة.

وهدف البرنامج هو البحث عن كواكب أخرى صالحة للحياة.. فليس من المنطق ألا يكون هناك كوكب واحد صالح للحياة في هذا الكون الممتد لملايين السنين الضوئية.

ومن هذا المنطلق وكالغريق الذي يتعلق بقشة؛ تم الإعداد للرحلة والتي ستستغرق عدة أشهر عن طريق سفن الفضاء، و التي تتجاوز سرعتها سرعة

الضوء. متخذه مسارات محددة تختصر الوقت والمسافة و...

– اللعنة، الألم الصاعق يعود مجدداً.

لقد عاد النداء من جديد، وهذه المرة يلح في إصرار.. في محاولة جديدة لاقتناصي.

لن أستسلم الآن قبل أن أنهي قصتي.

فلأستعد هدوئي وأسترجع دروس التركيز والثبات العصبي؛ كي أتغلب عليه كما تغلبت عليه من قبل.

– اللعنة.. الألم يتزايد.. إن رأسي تكاد أن تنفجر. إن هذا الضغط العقلي رهيب بحق.

قوى النداء هذه المرة مدمرة.

اللعنة، فلأتماسك.

لأتنفس بعمق أكبر..

لأتخيل شيئًا أحبه.. شيء يبعث بداخلي بعض المشاعر الإيجابية..

إنها وسيلة ناجحة جداً.

والدليل أن قبضة النداء الكاسحة.

ترتخي الآن.

وهاهو العرق البارد يغمر وجهي؛ إيذانًا بانحسار موجة المد العقلي الرهيب.

لقد انتصرت عليه هذه المرة أيضًا.

سأعود الآن لتسجيل مذكراتي فلا أعرف إن كنت سأقاوم هذا النداء المخيف في المرة القادمة، أم سأستسلم له.

ترى أين توقفت؟!

نعم... نعم.

كان العلم قد تخطى آلاف الحواجز، وعبر بحذائه الضخم فوق آلاف النظريات القديمة؛ ليجعلها تتوارى في خجلٍ بعيداً عن مسيرة التقدم المنطلقة كالصاروخ؛ لتفتح المجال لاستعمار الفضاء وسيطرة البشر على كواكب أخرى.

لقد ظن الحالمين أن العثور على هذا الكوكب المشابه للأرض يكفي للنجاة، ولكنهم سيكتشفون عاجلًا أو آجلًا أنهم بين قبضتي الموت لا محالة.

من قتل كوكبه لا ينتظر الرأفة من الكواكب الأخرى.

لن أسترسل في كل هذا، فيكفي أن أخبركم أننا تجاوزنا الألفية الثالثة بسبعة قرون وخمسة عقود، ومازال الإنسان يخوض الحروب بكل همجية.

بل ومازال يلقي بفائض القمح في المحيط ليحافظ على سعره العالمي.. دون أن يأبه بالبلاد التي ترزح تحت رحى المجاعة.

ومازالت الشعوب تقاتل الطغاة من أجل حريتها.

لا أعرف إن كان من سيأتي بعدي من كوكبي الأم؛ سيعثر على هذه المفكرة بعد أن عجزنا عن تحذيرهم من القدوم إلى ذلك الكوكب الوحشي.. قبل تدمير وسيلة العودة.

أم أن مخلوقات أخرى من عالم آخر ستعثر عليها. ستعتبر هذه المفكرة قطعة من الخردة التي لا تصدأ، وسيأخذها أحدهم كتذكار لابنه أو سيضعها في متحف الفضاء في كوكبهم.

تتساءلون؛ لماذا أهرب بعيداً عن الأحداث ولا أكمل السرد؟!

ماذا تقولون...؟؟؟!

خائف!

نعم خائف... بل إني مرتعب، وأتمنى أن يأتي الموت ليريحني مما أنا فيه.

ولكن.. ليكن الموت رفيقًا، ولا يجعل نهايتي كنهاية رفاق الرحلة.

آه لو رأيتم وجوه أصدقائي وهم يعانون ويتألمون ويموتون ببطء.

شيء رهيب... رهيب... رهيب.

إني كلما تذكرت؛ أدعو الله أن يخسف بي الأرض أو يجعل عاصفة من السماء تحرقني، أو أن أتحول إلى رماد تذروه الرياح في يوم عاصف.

إن الموت السريع هو أكرم شيء للإنسان، ولكن ما يحدث هنا هو الامتهان والهمجية مجسدتان.

ولا أكذب عليكم؛ لقد كدت أبلل سروالي حينما رأيت تلك الكائنات المرعبة التي اختطفتهم. ولكن أكثر ما أرعبني.

هو النظرة على وجوههم.

النظرة على وجوه أصدقائي، أو من كانوا أصدقائي.

لا... لا... لأسيطر على نفسي، وأعدكم ألا تجرفني الذكريات السيئة من جديد، وأن أكون مختصراً في حديثي.

لقد اختار الكمبيوتر الكمي المخصص باستراتيجيات السفر عبر الفضاء الطاقم، وعلى رأسهم أنا.. ولم تكن هناك وسيلة للرفض أو الاعتذار.

ففي مثل هذا الوقت المخيف؛ التخاذل يعني خيانة عظمى، والخيانة عقوبتها الموت الفوري دون محاكمة.

لم يراع الكمبيوتر في اختياره أي شيء؛ إلا الخبرة والكفاءة.

لا اعتبارات للسن؛ طالما الحالة الصحية جيدة.. ولا اعتبار لوجود أسرة قد لا يعود عائلها.. المهم الخبرة والكفاءة.

المهمة فوق كل شيء.

اعتبر الطاقم كله أن الحظ انتخبهم ليدخلوا التاريخ، وحلم كل منهم بلحظة العودة منتصرين حاملين الأمل للكوكب المحتضر.

وكان من الواضح أني الوحيد من الطاقم المكون من خمسة أشخاص، الذي لا تثير هذه الرحلة حماسته وهمته.

بل على العكس لقد أصابني انقباض شديد.. انتقل بالتدريج إلى أفراد عائلتي الذين ودعوني وودعتهم، وكأنه اللقاء الأخير الذي سيجمعنا.

انطلقت السفينة (رحيل) تخترق أجواز الفضاء كمخروط أسطواني ينطلق من قاعدته اللهب؛ لتقطع المسافات بسرعة لا تصدق ولا يتحملها أي جسد بشري.

لذا لجأوا للتجميد والعزل عن طريق عقار (ت ١٧)، والذي يسمح للأجساد البشرية بقبول التجميد الفوري.

قطعنا الطريق دون أن نشعر، ومضى خلفنا مليوني سنة ضوئية.

فمجرة أندروميدا تبعد عن كوكب الأرض حوالي مليوني سنة ضوئية.. والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في عام، وهي حوالي ١٠ تريليونات كيلو متر.

لا أعرف لماذا أعود للاسترسال في كل مرة...؟!

إنه الخوف بالتأكيد .

و............ اللعنة.

لقد عاد النداء المؤلم هذه المرة أكثر شراسة ووحشية؛ ليقتحم عقلي مثل النار المحرقة.. لينهش في خلاياه كوحش جائع.

عاد النداء من جديد؛ ليحاول جذبي إلى الجحيم.

عاد كموسيقى سوداء مقبضه؛ تبعث على الكآبة واليأس والإحباط.

عاد.. وأنا أقاوم، وأقاوم، وأتحمل ألم عدم الاستجابة.

عاد ليجذبني، حيث الموت.

عاد، ولكني تغلبت عليه من جديد..

وبصعوبة.

فاختفى كصدى تردد عبر روح مغلقه، ثم تلاشى على شواطئ عقلي الصخرية التي تأبى أي استحواذٍ أو سيطرة.

وصلنا إلى الغلاف الجوي للكوكب.. الشبيه بالغلاف الجوي لكوكب الأرض مجمدين.. فعملت أجهزة

الإيقاظ الآلية على إيقاظنا وتم حقننا بعقار آخر ليعيد أجسادنا إلى حيويتها بعد فترة السبات الصناعي الطويلة، واتخذت السفينة مدارها حول الكوكب كقمر صناعي ضخم.

وبعد استعادتنا لوعينا وحيويتنا ودراسة جو الكوكب، وصلاحيته لسكنى البشر.. أثبتت النتائج مقدار الدقة العلمية للتلسكوبات العملاقة الحديثة، فقررنا الهبوط من السفينة الأم بواسطة المركبة الاستكشافية في أحد أودية الكوكب الصخرية المستوية؛ ليبدأ سيناريو الرعب والموت.

كان أسوأ هبوط قمنا به في حياتنا.

لقد انقلب الجو فجأة، وثارت الطبيعة الغريبة للكوكب.. وأتت ريح سموم سوداء داكنة لتصطدم بالمركبة، وكأنها قبضة عملاق غاشمة.. ولولا مهارة قائد المركبة؛ لكنا من أول لحظة في عداد الأموات.

استطاع قائد المركبة بعد إطلاق مظلة الهبوط وصواريخ الطوارئ الجانبية العكسية؛ أن يحد من وقع الاصطدام.. فتحطمت قوائم الهبوط وانقسمت المركبة لنصفين، وبعد مجهود جبار من قائد المركبة تيقنا من نجاتنا فغادرنا المركبة.

وانطلقنا مبتعدين عنها تحسبًا لانفجارها. ولحسن حظنا أو لسوئه. لم تنفجر المركبة ونجت معدات الفحص، وبادر فني المركبة بإصلاح اللاسلكي لاستدعاء المركبة الأم.

منذ أن هبطنا اهتم كل منا بعملٍ ما إلا رقم (٦٥٧)، والذي وقف متخشبًا صامتًا مغمض العينين.. ينصت لشيء ما لا يسمعه إلا هو، والألم الشديد يرتسم على قسمات وجهه.

تابعته ببصري في قلق أنا وباقي الرفاق حتى أمسك جانبي رأسه في ألمٍ شديد؛ ليسقط أرضًا صارخًا وقد بدا وكأنه يقاتل عدو خفي.

ترك كل منا ما يفعله والتففنا حوله جميعًا، وهو يرغي ويزبد وكأنما قد أصابته حالة صرعيه عنيفة؛ إذ أخذ يتمرغ على الأرضية الصخرية وهو يصرخ ويتلوى، ونحن نحاول تثبيته على الأرض حتى لا يؤذي نفسه.

وفي لحظة خاطفة؛ هب واقفًا في عنف وكأنه امتلك قوة مفاجئة ليطيح بنا جميعًا. قبل أن يعدو نحو المجهول ليبتلعه الظلام.

الأولوية كانت للمهمة فعدنا لعملنا، وتركنا البحث عنه لبعد الانتهاء منه.. فمصير الأرض كله يتوقف

علينا.

وما أن انتهينا من تركيب أجهزة فحص التربة وتحليل المناخ وبعض المعدات الجيولوجية.. حتى قمنا بتهيئة الأجهزة الخاصة بالاتصال؛ لنمهد لأول شبكة اتصال كونية فائقة؛ تتواصل مع المراصد الفضائية الموجودة على كوكبنا المحتضر فور توصلها بمصدر الطاقة.

حيث ستقوم الأجهزة المصنوعة من مادة فائقة مقاومة للصدأ أو التلف بإرسال كافة البيانات لعلماء الأرض، فلن يحتاجوا لرحلاتٍ أخرى قبل اتخاذ قرار الرحيل الكبير إلى الكوكب.

وما أن انتهينا من أداء مهمتنا الأساسية بتركيب الأجهزة حتى استدعينا السفينة الأم إلى موقعنا من أجل العودة، ولكن ما حدث مع مركبة الهبوط حدث مع السفينة (رحيل).

ضمتها قبضة الرياح السوداء الهائلة ومزقتها إربًا وكأنها من ورق؛ لتنفجر في مشهدٍ يحطم القلوب.

لقد فقدنا وسيلة هروبنا الوحيدة، وجهاز الإرسال الذي معنا محدود، أي بلا فائدة وشبكة الاتصال الفائقة لم تعمل لافتقادها لخلية الطاقة التي فقدت مع انفجار سفينة الفضاء (رحيل).

إذًا لا أمل إلا في الانتظار لعدة سنوات؛ لحين حدوث الرحيل العظيم من كوكب الأرض.

– «ومهما كان الأمل ضعيفًا؛ إلا أنه قائم. فلنتمسك به ولنبحث عن مأوى وغذاء يصلح لنا لننشئ أول مستعمرة لنا على الكوكب.»

كانت هذه كلماتي لطاقمي والتي انصاعوا لها وشرعوا في تنفيذها؛ لتحدث ثاني حالة اختفاء.

الحالة الثانية؛ كانت اختفاء عالمة الجيولوجيا رقم (٨٦٥) والتي تلاشت فجأة من أمامنا، وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها مع صرخة رهيبة جمدت الدماء في عروقنا جميعًا.

تأهبنا جميعًا بالأسلحة، فلم يبق إلا أنا واثنان من أعضاء الفريق والخوف رابعنا.

وعلى أثر التوتر، فقد رقم (٦٦٦) أعصابه وانتابته حالة جنون وقتيه، فأخذ يطلق الآشعة الفتاكة على كل مكان يواجهه؛ ليعيث الدمار من حولنا وليغضب الكوكب ومخلوقاته.

وخلال لحظات قليلة؛ انقلب علينا الكوكب وظهرت مخلوقاته الوحشية من قلب الأرض المتموجة،

وتجسدت وكأنها جزء من الأرضية الصخرية يتشكل من العدم.

مخلوقات سوداء مخيفة تشبه العقارب؛ إلا أنها غزيرة الشعر وضخمة كطفلٍ في العاشرة من عمره.

قاتلناهم كما لم نقاتل من قبل، وصرعنا منها العشرات بأسلحتنا الفتاكة.. كل ذلك ونحن نتراجع حتى وصلنا لحطام المركبة.

كنت أنا أول من احتمى بإحدى قمرات المركبة المحطمة، وأخذت أطلق الآشعة الغزيرة من النافذة دون توقف، وأخذت الكفة ترجح لصالحنا حتى ارتج مخي من الدفقة العقلية الحارقة، وهاجم النداء عقلي للمرة الأولى.

كان مقتحمًا.

سافرًا.

مدنسًا لأروقة عقلي.

و كان الألم المصاحب للتردد الفائق لا يطاق.

والنداء لا يحتمل..

أغلقت نافذة القمرة العازلة مما حد من التأثير العقلي للنداء، وظللت أتعذب حتى خفت وتلاشى تماماً.

و من خلف زجاج النافذة العازل؛ شاهدت رفيقيّ وهما يجران على الأرضية الصخرية كالحيوانات النافقة، موثقان بواسطة ممصات غريبة وزوائد حادة وهما غائبان عن الوعي.

جلست وحدي في القمرة مذهولًا لفترة لا أعلم مداها؛ غير مصدق لما حدث وعقلي مشلول عن التفكير .

كان الأمر يفوق إدراكي وتخيلي، بل يفوق أقصى كوابيسي بشاعة.

كنت أريد أن أفعل أي شيء لمساعدة أصدقائي ولنفسي، فحرص هذه الكائنات على اصطحابهم أحياء يعني أنهم لم يقتلوهم لسبب ما، وأن الفرصة ما زالت سانحة لإنقاذهم.

ولكن ما بيدي لأفعله؛ إنني عاجز عن حتى حماية نفسي، فكيف بأصدقائي؟!

لابد من خطة.

والخطة تحتاج لمعلومات.

والمعلومات تحتاج لاستطلاع.

والكوكب كله معادي لي، فلا يوجد مكان واحد آمن ليكون نقطة الانطلاق.

وهناك أيضًا النداء.!!

كانت الخطوة الأولى هي التحرك في الأوقات التي تلي النداء، برغم الإجهاد الشديد الذي يصيبني في كل مرة ينطلق من عقاله.

تابعت النداء العقلي ورصدت أوقات هجومه.. كان يأتي في البداية بكثافة، ثم بدأ يقل مع مرور الوقت ويصبح دوريًا حتى أنك تستطيع أن تضبط ساعتك عليه.

بدأت رحلة البحث عن رفاقي بعد أن سلحت نفسي بكل ما استطعت حمله من أسلحة من المركبة المحطمة، وبعد كل رحلة فاشلة كنت أعود للقمرة قبل موعد النداء التالي.

وبعد مرور اثني عشرة ساعة عثرت عليهم، و يا ليتني ما عثرت عليهم.

كانوا هناك.

في الجزء الأكثر سواداً من الكوكب، وكانوا يتألقون بأضواءٍ فسفورية خافتة.

نعم يتألقون لا تتعجبوا، فقد اتصلت بأجسادهم ممصات حادة، وزوائد طرفية من كيان عملاق ذي عينين بحجم سيارة.

كان الرعب متجسداً في كيان ضخم هائل البشاعة على هيئة مخلوق أخطبوطي مخيف؛ يمتص حيوية أصدقائي الأربعة.

ثم رأيتها.

وليتني عميت قبل أن أراها.

تلك النظرة التي على وجوههم.

كانت نظرة رعب وألم ورجاء بأن أفعل أي شيء لأخلصهم من معاناتهم.

كانوا يتألمون..

ويئنون..

ويفقدون كل سوائلهم الحيوية دون أن يموتوا.

كان الألم رهيباً..

رهيبًا لأقصى مدى.

تجمدت مكاني من الصدمة ومن الخوف، ولم أجسر على القيام بشيء.

تذكرت النداء، وقرنته بمصير رفاقي البشع فنظرت لساعتي مرتجفًا، وحسبت المسافة بيني وبين القمرة وعدت مسرعًا إلى ملجئي، وما أن وصلت إليه وأغلقت الباب حتى قيدت نفسي بقيود محكمة. في نفس اللحظة التي انطلق فيها النداء الرهيب.

وكان وقعه علي هذه المرة أصعب... وأرهب... وأكثر ألمًا.

فما رأيته يرتسم على وجوه فريقي من الألم والمعاناة؛ يفوق كل ما رأيته من رعب في حياتي.

فكرت في الانتحار مرارًا.

ولكني لم أستطع، فلم تطاوعني نفسي برغم قربي الشديد من حافة الهاوية.

تمالكت نفسي بصعوبة، وقررت أن أقوم بمحاولةٍ أخرى لإنقاذ رفاقي.

إن الرعب يفقد الإنسان كل منطق. والحب كذلك...

وأنا كنت أحب كل أفراد فريقي كأبنائي.

لذا فإنني تسللت إلى حيث يقبع الكائن الجهنمي، وأخذت أقترب من عرينه بكل حذر.

وما أن وقع نظري على أصدقائي حتى ارتجفت من رأسي لأخمص قدمي، وكأنما أصابتني صاعقة.

كان منظرهم مفجعًا ومخيفًا وغير طبيعيًا أبدًا..

لقد تشوهوا وبدأت مادة كاوية ضعيفة تلتهم جلودهم، وأنينهم المستمر يمزق نياط القلوب.

كنت أتساءل وأنا أبكي:

كيف يتحملون كل هذا الألم دون أن يموتوا؟!

وعندما وقعت عيني على الممصات الحادة التي تخترقهم من أسفل لأعلى؛ عرفت الوسيلة الوحشية التي تمدهم بأسباب الحياة.

لم أستوعب منظرهم أبدًا!

لقد أصبحوا بقايا بشرية لا تصلح لشيء. إلا كغذاء لذلك المخلوق الوحشي.

لقد سلبهم ذلك الوحش حقهم في الموت بكرامة كآدميين والموت دون ألم.

بكيت وأنا أردد:

– «من حقهم أن يموتوا دون ألم»

ثم اندفعت عائداً إلى القمرة من جديد، وقيدت نفسي حتى مر النداء.

فحصت الأسلحة التي أملكها، فوجدتها لن تصلح لتحقيق انتقامي والقضاء على ذلك الوحش الجهنمي، فانطلقت أبحث في المركبة الراقدة فوق الصخور كنسرٍ مكسور الجناح عن سلاح مناسب.

ولحسن الحظ وجدته.

قاذفة القنابل المحدودة.

وحملتها دون أي سلاح آخر، واتجهت إلى حيث يوجد الكائن الأسود البشع ورفاقي المتألمون.

وفي منتصف المسافة الفاصلة وقفت حاملًا القاذفة، وعينيّ مسلطتين على عيني الكائن العملاقتين، وبداخلي تصميم وغضب يستطيعان زحزحة الكواكب عن مداراتها.

تلاقت عيناي بعيون رفاقي. كانوا يرونني وأراهم وحوار حزين يدور بلغة العيون.

ثم رأيتها في عيونهم نظرة تختلف عن كل نظرات الألم والخوف.

نظرة امتنان.

وعلى الفور أطلقت القذائف الأربعة خلف بعضهم، ونظرت لأرى مقدار الدمار بعد انقشاع سحب الدخان.

لقد تمزق الكائن البشع، واشتعل بسرعة وكأنه متكون من مادة سريعة الاشتعال واحترق رفاقي وتمزقوا، لكنهم لم يعودوا يتألمون.

وبعدها عدت وحيداً كسير الفؤاد للقمرة، وبدأت في كتابة مذكراتي هذه.. لعلها تفيد في إنقاذ حياة ذات يوم.

تتساءلون؛ ماذا سأفعل الآن؟

لن أترككم نهبًا للأسئلة، ولن أجعل قصتي أحد الأسرار الغامضة التي يخفيها الكون.

بل سأخبركم بالطبع.

سألبي النداء. فيبدو أن الكائن الذي قضيت عليه ليس مصدر النداء.. هناك قوة مخيفة أخرى تحاول اقتناصي.

فسلامي لكم جميعًا، فقد اقترب موعد النداء و.......

ويجب أن ألبي.



ورأيت مجموعة من الأشخاص يضعون الدقيق وبعض المواد في الإناء الكبير، الفتيات بالجوار يغسلون أيديهم وأرجلهم في حوض آخر، وإحدى الفتيات المصابات بالأنفلونزا تقوم ب .....

المهم أحببت حرصهم على النظافة.

عاد صوت صديقي ليكمل وكأنه على وشك شرح النظرية النسبية:

– هنا نضع المنكه والمحسن والخميرة والبيض، والآن نضع كمية محسوبة من المياه.

ومن نفس الحوض الممتلئ بالمياه والتي استخدمتها الفتيات في النظافة؛ قاموا بوضع تلك الكميات المحسوبة من المياه.

لا أعرف لماذا تصاعد الحمض في معدتي بسرعة، هل تدركون لماذا؟!

أصابني الدوار للحظة ولكني عدت لأنصت لصوته الشبيه بصوت المعلم:

– نأتي هنا لمرحلة العجن.

وهنا لاحظت أن الفتيات قد اعتلين الخليط، وبدأن في العجن بأقدامهن.

هل أنا أهذي أم أن هذا ما يحدث بالفعل؟!

الحقيقة أن مشهد الفتيات البائسات كان أقوى مما تحتمله جدران معدتي، فأفرغت أحشائي على الأرض.

وعلى الفور صرخ صديقي في إحدى الفتيات لتغادر مكان العجن، وتبدأ في التنظيف قبل أن تعود آليًّا لعملها.

قادني بعدها صديقي إلى مكان آخر حيث يتم وضع العجينة فوق تلك الماكينة التي تقوم بتشكيلها وفردها على هيئة مستطيلات طويلة تتراص فوق بعضها، ثم يقومون بلفها ووضعها على ماكينة التقطيع لتأخذ شكلها النهائي؛ سواء أكانت (اسباجيتي) أو على شكل قوقعة أو قلم أو فيونكة.

كانت هذه هي المرحلة الأولى الآلية في ذلك المصنع البائس قبل أن تمر إلى مرحلة التجفيف. وما أن تنتهي حتى تبدأ مرحلة التغليف ويتم التغليف آليًّا بداخل الأكياس الحمراء جميلة الشكل.

أما لماذا أفرغت روحي مرة ثانية على الأرض؟!

فكان ذلك مع منظر الكيس الذي حمله صديقي، وهو يصيح في بعض الفتيات الواقفات على خط التغليف:

– ألن تتعلمن أبداً دقة الملاحظة؟!.. ألم يلفت نظركن الكفيف؛ ذلك الكيس الذي يحتوي على جثة الفأر النافق، إن سمعة المصنع تعني استمرار أرزاقكم.

قبل أن يستدير لي ويقول:

– واللّه لا يستحق أي منهم الأجر الكبير الذي يحصلون عليه!

هل تعرفون الآن لماذا قاطعت المعكرونة إلى الأبد؟

عودة الإله

– هل تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت؟

– بالتأكيد، عليك فقط أن تظل متيقظًا ومتحفزًا لهم.

* * *

لا أحد مثله، ولا أحد يضاهيه.

كل صفاته منتقاة.. كل حركاته مدروسة.

كلماته حكمة مقطرة.. نصائحه صحف مقدسة.

يحترمه ويهابه الجميع، يتمنون لقاءه.

يحلمون ببركته التي سوف تعم الأرجاء في ساعة رضاء منه.

يؤمنون به أكثر مما يؤمنون بأنفسهم.

يقدسون كل قصة تقص عنه مهما كانت خيالية، ويخلعون عليه من الصفات ما لا تصل إليه العقول.

لم يره سكان الكوكب، ولم يقابلوا من رآه ولم يجرؤ أحد على أن يدعي أنه رآه، بل كانت كلها أقاويل

متناثرة وأحاديث خارقة منحته مكانة خاصة.. مكانة لم يحظ بها مخلوق من قبل على ظهر الكوكب.

وكعادة كل المخلوقات عبر الكون في تقديس كل غامض؛ صُنع له هيكل فوق أعلى الجبال ووضع بداخله كرة من النور المتجدد صنعت من ذلك المعدن الغامض الذي أتى بداخل أحد النيازك من وراء النجوم.

وجيلًا خلف جيل انتقلت الحكايات ونسجت الأساطير، وصارت الأقاويل أحاديثًا مقدسة.

فتحول من مرشد وملهم إلى إله.

ومع الوقت ظهر الحراس والكهنة، و بدأ شكل الحياة يتبدل ويتغير وخلقت الحروب.

فكانت تراق من أجله الدماء، وتقدم الأضاحي على مذبحه ممن لا يؤمنون به.

وأصبحت التساؤلات عن كنهه وماهيته وقدراته من المحرمات، فهو الذي لا مثيل له.

استمر ضوؤه يغطي تلك المساحة من الكوكب عبر القرون ويحج إليها الناس ويطلبون البركة

ورضا الإله، إلى أن بدأ المعدن يتحلل والضوء يخفت فطارت العقول شعاعًا وتحدثوا عن غضب الإله.

وفي النهاية وعندما أعتم؛ عادت عقول الكهنة للعمل والبحث عن مهرب من المأزق.

فكل شيء في الكوكب سيخرج عن السيطرة،

فالإله لا يموت ولا يغادر.

هم فقط من يمارسون هذا القصور، والمعدن المستخرج من النيزك يحتاج لمعالجات خاصة.. تحتاج لوقت طويل لا يملكونه الآن.

وتفتقت في أحد الأذهان الماكرة الفكرة التي ستنقذ أعناقهم، وتنتشل شعب الكوكب من الظلام إلى حيث النور.. فكان أن بدأوا يتحدثون عن الظهور الثاني للمرشد.

المرشد الذي لا أحد مثله والذي لا أحد يضاهيه، والذي يؤمنون به أكثر مما يؤمنون بأنفسهم..

وبدأت الجموع تعتنق الفكرة.

وبدأ الرسل يجوبون الكوكب ويدعون المرتدين ومن لم يصلهم الدعوة، ولكن ما أثار القلق هو السؤال الدائم:

– أين النور؟

وعندما بدأ مسلسل قتل الرسل؛ استعان الكهنة بالحرس وظلل الكوكب عصر من الظلم والقهر حتى أعلنت المعامل أن المعدن جاهز.

وعندها خفف الحرس قبضتهم الأمنية الغاشمة ونشط رسل الكهنة في كل مكان.. يدعون الناس للإله ويهيؤونهم للظهور الثاني.

وفي الموعد المحدد ؛ سطع المعدن بالنور وأضاء الكوكب.

وتنفس الجميع الصعداء.

لقد عاد الإله.

عمت الفرحة أجواء الكوكب وعادت الأمور لتستقيم، ولكن ما كان يؤرق كبير الكهنة هو أن آخر كمية من المعدن تم استخدامها لصنع الإله الجديد، فماذا هم فاعلون في المستقبل؟!

هل سيتركون نفوذهم لينتهي؟!

وهنا تفتقت الأذهان عن فكرة جديدة؛ عن الظهور الثالث للمرشد.. وعندما واجه الكاهن صاحب الفكرة بأن هذه حماقة لأن المعدن قد نفد، فعادت

الابتسامة لترتسم على وجه الكاهن قبل أن يقول بصوتٍ خبيث:

– التجسد الثالث سيكون في نهاية الزمان.

وهنا انطلقت ضحكة الكاهن الكبير لترج المعبد قبل أن يقول:

– أكتبوها ووثقوها وانشروها، فالكوكب لنا لنهاية الزمان.

استحضار

– هل جربت من قبل تحضير الأرواح؟

– وهل كل ما نستطيعه نفعله؟!

* * *

نظر له ذلك المعالج الروحاني باستنكار قبل أن يقول:

– لا يمكن أن نقوم باستحضار روح حية.. الأرواح الحية قلقة وتؤذي كثيراً.

تأمله الأنيق لثوان قبل أن يتساءل في ضيق:

– لا يمكن أم مستحيل؟

ظهر التردد على وجه المعالج الروحاني قبل أن يقول:

– هو ليس مستحيلًا، ولكنه مكروه ولا يوجد أي ساحر حقيقي يجرؤ على فعله.

ابتسم الأنيق في ظفر قبل أن يقول:

– إذاً فأنت تستطيع.

هز المعالج الروحاني رأسه في برود وقال:

– نعم ولكني لن أقوم بالأمر .

ابتسم الأنيق وقال:

– عشرة آلاف دولار.

ظهر التردد على وجه المعالج الروحاني وقال:

– ولكن.

قاطعه الأنيق:

– لا يوجد لكن؛ هل ستقوم بالأمر مقابل عشرة آلاف دولار، أم أبحث عن غيرك؟

تألقت نظرة جشعة في عين المعالج الروحاني الذي أجاب:

– سأقوم به بالطبع، ولكن أي روح تريد مني تحضيرها؟

قال بفخر :

– ومن غيره كراولي، أليستر كراولي.

ارتجف المعالج الروحاني عند ذكر اسم ذلك الساحر الخبيث الذي كتب كتاب القانون الجهنمي عن نصوص ثلما المقدسة.. بمساعدة كيان جهنمي يدعى؛ عيواس. وأجبره المال المرتقب على أن يستمر في حماقته فقال بتوتر:

– ولكن كراولي مات منذ زمن طويل.

ابتسم الأنيق في سخرية وقال:

– هذا ما أشاعه بنفسه؛ ليمهد للظهور العظيم.

ارتجف الروحاني وقال:

– أي ظهور عظيم؟ّ

منحه الأنيق نظرة مخيفة قبل أن يقول:

– المعرفة على قدر الحاجة.

توتر الروحاني أكثر وتمنى أن يطرد هذا المجنون من منزله؛ لولا إغراء المال. فسأله بقلق:

– هل لديك أي شيء يخصه؟

أجاب الأنيق على الفور:

– نعم لدي ذلك الشيك الذي أرسله كراولي لجزار بولسكاين، مزخرفًا بتلك الطقوس الشيطانية والتي جعلت الجزار يقطع شريان يده قبل أن يدمن الخمر .

ازدرد المعالج الروحاني ريقه في قلق دون أن يرد، فتساءل الأنيق:

– ألن يصلح؟!

تذكر المعالج المال الوفير وقال:

– مقابل عشرة آلاف دولار ؛ كل شيء يصلح.

قالها ثم عاوده القلق فتساءل:

– ولكن لماذا تريد تحضير هذه الروح؟

ابتسم الأنيق في خبث وقال:

– ألم تخمن بعد أيها المعالج الفذ؛ لتستحضره وسترى.

أتموا جميع التجهيزات وأحضر المعالج الروحاني كل ما يلزم للعملية، فأطلق البخور الهندي ورش الماء المقدس عبر الغرفة.. ثم بدأ في إلقاء التعويذة.

وبعد عدة دقائق؛ بدأ كل شيء يهتز.

وازدادت حدة البخور لتعبق كل شيء في الغرفة، وفي اللحظة التالية دوى الصوت:

– من الذي جرؤ وأقلق غفوتي؛ من فعل سأنتقم منه.

وفي اللحظة التالية؛ شعر المعالج بجسده يرتفع في فضاء الغرفة كأنه لا وزن له.. قبل أن يهوي على الأرض لتتهشم بعض أضلاعه ولتسيل الدماء من جرحٍ في رأسه؛ ليدوي الصوت من جديد:

– من عجل بظهوري.. من أفسد خطتي؟

وهنا بال المعالج على نفسه، وهو يرى الأنيق يتمزق إربًا وتتناثر أشلاؤه في المكان على يد تلك الروح الشريرة الغاضبة.

وعندما حاول صرف الروح؛ أتاه الصوت الغاضب:

– الروح الحية يمكنك استحضارها بإرادتك ولكنها لا تنصرف إلا بإرادتها.. فهل ستكفيك العشرة آلاف دولار مقابل حياتك؟

قالها قبل أن تمتد يده لتنتزع قلب المعالج؛ ليرفعه إلى فمه ويلتهمه في تلذذ.. ليبدأ جسده المادي

في التكون ليتبعها بتمزيق أطرافه ليشرع في تناولها.

ومع كل قطعة لحم يتناولها؛ كان جزء من جسده يتشكل بفعل تعويذة محظورة من أسوأ تعاويذ السحر الأسود.

وعندما انتهى؛ هز صوت الشيطاني البناية بالكامل وهو يقول:

– لقد عدت مبكرًا، ولكن لا بأس.. اللعنة على كل من يسكن الأرض.

في نفس اللحظة؛ تجسد من قلب العدم كيان مخيف لشيطان ذي قرون عظمية داكنة.. تشتعل عيناه بنيران الجحيم. انتصب أمام كراولي قائلًا:

– عيواس في خدمتك يا سيدي.

لحم بشري

– يوم ما سيلتهم البشر بعضهم؛ حقيقة لا مجازًا.

– الواقع يا صديقي؛ أن البشر منذ بدء الخليقة لم يتوقفوا عن نهش بعضهم البعض.. سواء كان الأمر مجازيًا أو واقعًا حقيقيًا، فالبشر هم أسوأ المخلوقات على هذا الكوكب.

* * *

رغم التطور التكنولوجي المذهل الذي حدث خلال السنوات الخمسين الماضية ومع اقترابنا من القرن الثاني والعشرين؛ إلا أن التكنولوجيا لم تستطع أن تصل لحل جذري ونهائي لمشكلة الغذاء العالمية المتفاقمة.

ملايين البشر فقدوا حياتهم من الجوع في ظل فقر مدقع لا يرحم، ومجاعات وكوارث بيئية لا تنتهي. وبرغم الجهود التي لا تتوقف؛ لم تستطع المنظمات العالمية مد يد العون إلى الملايين الأخرى التي تعاني.

فرقم ألف مليون مشرد عالمي لم يكن بالرقم الهين، والدول الأخرى تحاول جاهدة للاكتفاء الذاتي بمتطلبات شعوبها.

وأمام محطة بث عملاقة بأحد الميادين الكبرى؛ تجمهر عدد ضخم متزايد من المواطنين.. يتابعون فاعليات المؤتمر الكبير ودوى صوت المتحدث الرسمي قائلًا:

– وبعد الكارثة الرهيبة التي اجتاحت العالم بعد تجربة الصين لسلاحها الأخير، والذي أدى لتلوث ثلث مساحة العالم وجعلها منطقة محظورة على البشر. وقضي على الثروة الحيوانية والسمكية بالكامل.

وإيمانًا منا بحق البشرية في أن تعيش حياتها في مستوى يصون كرامتها وبشريتها، وأن تحصل على كامل حقوقها الطبيعية مهما كانت الظروف المحيطة.. فإن منظمة « بشرية بلا حدود» تعلن عن إنشائها لمشروعها الضخم «المأوى العالمي».

همهم الجمع المحتشد في الميدان وفي أماكن أخرى من العالم، وانطلقوا في هتافٍ عالٍ رج الكرة الأرضية رجّا، وبعد أن هدأت حماستهم عادوا لينصتوا من جديد لصوت المتحدث الرسمي الغارق في الحماس، والذي استطرد:

– وعن طريق التبرعات الهائلة التي تم جمعها من دول ومنظمات العالم؛ تقرر إنشاء هذا المأوى في إفريقيا وتحديداً في المكان الذي كانت توجد فيه

دولة جنوب إفريقيا، والتي دمرت في الحرب الأخيرة كمركزٍ للمشروع على أن تمتد إلى باقي دول القارة في المراحل التالية انحدارًا مع النهر إلى شمال القارة.

ازداد انفعاله مع تجاوب الجموع التي أشعل الأمل حماسها، فانطلق يتحدث بصوتٍ مملوء بالمشاعر الفياضة:

– ستكون أفريقيا هي المهد الجديد للإنسانية والمحبة والصحوة العالمية، وستكون قارة البعث.

كانت الجماهير تهدر في كل مكان من فرط الإثارة، فالمشروع الحلم يتحول إلى واقع قابل للتنفيذ.. وهذا ما جعل صوت المتحدث الرسمي يصبح كالموسيقى في آذن المستمعين وهو يكمل :

– وأثناء حديثي الآن؛ هناك آلاف من حوامات النقل العملاقة موزعة في جميع مطارات العالم.. وعلى أهبة الاستعداد لنقل من يريد أن يساهم أو يشارك في هذا المشروع العالمي. نحن بحاجه لآلاف الأيدي العاملة والتي ستساهم في إكمال هذا المشروع وإنهائه في وقتٍ قياسي؛ من أجل حياة أفضل لملايين الجوعى والمشردين ولاجئي الحرب الأخيرة. لن يكتمل الحلم إلا بكم.

قالها وأنهى حديثه بطريقةٍ مسرحية؛ أشعلت حماس الجماهير لتبدأ الاحتفالات في كل مكان.

انتهى البث الهولوجرامي لهذا الحدث العالمي الكبير، والذي حظي بأكبر تغطية إعلامية في تاريخ كوكب الأرض.

انتهى البث، ولم ينته الحماس الذي اكتسح العالم كإعصار، فهذا هو الحدث الأكبر والأعظم خلال القرن الماضي.. يكاد يتحول إلى حقيقة ملموسة. والعالم لأول مرة يتحد على غاية إنسانية نبيلة، وهدف عظيم قد يكون بداية لتغيرات كثيرة في العلاقات بين دول العالم وبعضها ودول العالم وشعوبها.

* * *

وبعد عشر سنوات..

وعلى كل محطات البث المتطورة؛ تكرر نفس البث الهولوجرامي والذي كان مسجلًا، وتابعه البلايين على الهواء ومباشرة.

وبعد أن انتهى البث القديم؛ تسلطت الأضواء على شخصٍ أربعيني أنيق الملبس له شعر مصفف بعناية بلون الفضة؛ يقف أمام مقر الهيئة الهندسية التي أشرفت على المشروع العالمي.

وأعلن هذا الشخص وبحماسٍ أكبر عن انتهاء المشروع الحلم، وعن جاهزية المأوى العالمي لاستقبال كل المحتاجين عبر العالم بعد أن انتهت المرحلة العاشرة والأخيرة منه.

كما أعلن عن إلغاء تخصيص دول بعينها لترسل مواطنيها لموطن البعث الجديد، فلم يعد المشروع يقتصر على الدول الأكثر تضرراً فقط، بل هو لكل محتاج ومشرد ولاجئ ولا وطن له.

وبالفعل بدأت على الفور الحوامات في نقل آلاف المتحمسين والمحتاجين من بلادهم إلى حيث المأوى العالمي وسط ضجيج وهتافات واحتفالات العالم كله.

فأخيراً استيقظ ضمير العالم الحر، وشعر بالمحتاجين والجوعى ومن هم على حافة الموت.

أخيراً انتهى المشروع العملاق الذي يعد بصمة مضيئة في تاريخ البشرية.

لا أحد يدري كيف تم إنجاز هذا المشروع الضخم في هذا الوقت القصير نسبيّاً!.. فعشر سنوات لا تعد وقتاً كافياً أمام هذا الإنجاز العملاق الذي تم إنشائه.. آلاف المنشآت والمشروعات التي يحتاجها الأمر تمت في وقتٍ قياسي وبسرعة مذهلة.

مليارات من قطرات العرق والنقود؛ أنفقت لمساعدة الإخوة في البشرية.

كان احتفالًا كونيًا مذهلًا شاهده حتى رواد السفن الفضائية، وقاطني المحطات الفضائية التي تدور حول الأرض.

ورقص الكون رقصة الحياة على أنغام التعاون والحب.

وبعد انتهاء الاحتفالات وفي سبعة بلدان مختلفة؛ جلس زعماء العالم كل منه في دولته وحوله العديد من المستشارين.

وبدأ الحوار من خلال قنوات أقمار صناعية شديدة السرية والتأمين؛ عبر بث هولوجرامي متطور. وقال أحدهم وهو نحيل يرتدي نظارة سوداء؛ يعتقد أنها تعطيه غموضًا خاصًا:

– أهنئكم جميعًا على انتهاء المشروع الأكبر والأعظم في تاريخ البشرية.

انطلقت الهمهمات التي تدل على السعادة للحظات، وعندما انتهت استطرد قائلًا في فخر وهو يشيح بيديه في حركة مسرحية تميزه في جميع أحاديثه:

– لقد انتهينا في وقتٍ قياسي من إنهاء المزرعة الكونية؛ الملايين سيتدفقون الآن إلى هناك حيث الحلم بالمأوى والغذاء والأمان.. الملايين سيتركون بلدانهم لتستوطنها شعوبنا الأرقى والأفضل، إننا من هنا سنعيد كتابة التاريخ.

إننا الآن أمام فتح جديد؛ لقد تخلصنا من عبء التكدس السكاني الرهيب الذي كان شوكة في ظهورنا جميعًا وحاجزًا أمام نمو شعوبنا وتقدمنا.

كما أننا عالجنا مشكلة انقراض الحيوانات من الكوكب ونقص البروتين بعد أن أفناها الفيروس الصيني الأخير، و قضى عليها تمامًا.

لقد توفرت الأماكن والحيوانات واللحوم، وعينا أن نبدأ الجزء الثاني من خطتنا؛ فهل عند أي منكم اعتراض؟

سجل كل منهم موافقته، ثم شرعوا في مناقشة عشرات التفاصيل الفرعية قبل أن يعلن ممثل أكبر دولة عن انتهاء المناقشات، ويسأل إن كان لأحد الزعماء تعليق أخير .

وبالفعل انكمش وجه أحد الزعماء دليلًا على الحماس، والتي كانت ملامحه تشي بأنه كوري الأصل وقال:

– « ما رأيكم في الخلطة التي أرسلناها لكم؟.. إنها تجعل طعم اللحم ألذ.

رد المندوب الأمريكي:

– لا أحد ينكر الجهد المبذول لإرضاء مواطنينا.

ابتسم الكوري في حين تحدث رجل قصير ملامحه غير مريحة، وتدل على أصل يهودي واضح.. صهيوني اسرائيلي على الأرجح وقال:

– « إنني نباتي ولكن واجبي هو ما يحتم علي توفير اللحم والبروتين لشعبي؛ تخيلوا معي ألف مليون حيوان جاهز لإطعام شعوبنا. لقد حققنا لبلادنا الحلم الذي لم يتوقعوه وفي زمن قياسي؛ ألا نستحق جائزة نوبل بعد أن بدأنا مشروعنا القومي للسيطرة على الزيادة السكانية وتوفير البروتين.»

قالها وانطلق يضحك في هستريا.

وتبعه الآخرون..

حتى أظلمت أجهزة البث الهولوجرامية السبعة.

وهناك في إفريقيا بدأ العمل على قدمٍ وساق، وبدأ الجنود المدججون بالسلاح يقودون القادمين تباعًا حسب خطه شديدة الدقة والتنظيم الى

المعسكرات، وتم تقسيمهم حسب أنظمة ومعايير محددة.

ومع بدء العام الجديد؛ بدأت المجازر الآلية عملها وحسب الخطة الموضوعة.

ولم تهدر إنشًا واحدًا من اللحم.

اللحم البشري.

رغبة

– أيهما أكثر نبلًا من وجهة نظرك؛ الحب أم الصداقة؟

– الجنس.

* * *

« من حق كل إنسان ممارسة الجنس، دون أن يتقيد بالزواج.»

كانت هذه هي التيمة الإعلانية الشهيرة التي كانت تواصل مقاطعة مسلسل الخيال العلمي المعروض على شاشة التلفاز المجسمة طوال الفترة المسائية، وخاصة في أوقات ذروة المشاهدة من الساعة الواحدة بعد منتصف الليل إلى الثالثة فجرًا.

حسنًا كما لاحظتم؛ لقد تبدلت أوقات الذروة بعد الكساد الكبير الذي أصاب العالم، وانقلب ليل الملايين لنهارٍ مع عدم توفر فرص عمل حقيقية، والعجيب أن الظروف السيئة ساعدت أكثر على انتشار الأخلاق الأكثر سوءًا.

وهي نتيجة حتمية، فالانشغال الدائم بلقمة العيش يعني أجيالًا تتربى على ما تراه على شاشة التلفاز، وما تعايشه في العالم الرقمي من خلال مواقع التواصل الاجتماعي؛ ليصير المحتوى الإعلامي هو مخدر ومفسد الشعوب الجديد.

« من حق كل إنسان ممارسة الجنس، دون أن يتقيد بالزواج.»

عبارة لا أخلاقية مستفزة، ولكنها داعبت تفكير (شادي) وأثارت غرائزه.

و(شادي) هو أحد عبيد الإعلانات الجنسية الجديدة، والذي كرس نفسه لخدمة شهوته خارج الإطار الشرعي لها كما يفعل آلاف المغيبين الآن.

وبالفعل أثاره الإعلان الجديد، فأخذ يحصي ما في أرصدته من نقود. وهو يفكر أن الهندسة الوراثية لم تترك مجالًا إلا وزجت بأنفها فيه.

انتشرت الإعلانات الجنسية تدريجيًا لتغزو المجتمع عن طريق كافة وسائل الاتصالات؛ سواء المسموعة أو المقروءة، أو المرئية.

وبذكاءٍ شيطاني لتفادي صدمة المتلقين؛ بدأ الغزو بإعلانات حذرة تحاول ألا تجرح قيم المجتمع

وتعمل على التلميح المقنن، ثم انتقلت بعد تهيئة الوعي الجمعي للخطوة التالية، فتم إنتاج إعلانات ساخرة خفيفة الظل تسخر من رجولة الرجل وأنوثة المرأة، ومنها إلى إعلانات التلميح الفج. فالإعلانات الجنسية الصريحة وعبر هذه الخطوات الخبيثة الدؤوبة تقبلها المتابعون.

ومع تطور الإعلانات؛ تطور المحتوى الجنسي نفسه والخدمات المقدمة، وكان (شادي) مدمنًا على متابعة كل جديد، وكان يتابع بشغف ذلك الإعلان الذي كان يعلن عن المنتج الجنسي المهجن الجديد.

ففي إطار مشروع مختلف وعن طريق الهندسة الوراثية؛ تم دمج الخلايا البشرية بخلايا النباتات لخلق مخلوق جديد؛ يجمع الصفتين وللأسف كان المشروع فاشلًا لأنه خلال شهر أو أقل يصاب المخلوق بانهيار خلوي تام ويموت.

ولكن العقول البشرية لم تترك هذا الاكتشاف ليمر دون استفادة حقيقية؛ بعد أن كلف رعاته أرقامًا فلكية وتفتق ذهن المسوقين عن فكرة الرفيق الجنسي المؤقت.

شهر يكفي ويزيد ولا يحقق الملل لكل عميل؛ بل سيجعله يطلب المزيد بعد أن يشتعل فضوله

ليجرب نماذج بشرية أكثر أو نباتية أكثر، وتباين الأسعار سيشعل السوق.

وبالفعل حقق المشروع نتائج خرافية، فبإمكان من يملك النقود أن يحظى بمخلوق مهجن يفعل به ما يشاء.

وكان التركيز على الجانب الجنسي مع وضع قوانين لعدم الإساءة لهذه المخلوقات بأي من الطرق السادية.

وإن لم يلتزم الكثيرون بالأمر، ومقاطع الفيديو السادية على الإيجبت تيوب دليل حي على ذلك.

وتم التعامل مع الهجناء كالتعامل مع التبغ؛ إنه مضر ويسبب الوفاة ولكن بيعه قانوني.

لا يجب ممارسة السادية على النماذج المهجنة، ولكن لن تقام ضدك أي دعوة قضائية لو خرج فيديو ممارساتك بعد انهيارها الخلوي الذي يحدده العقد، فهي تخرج من الحضانات وشهادة موتها معًا. والموت يسقط الدعاوى القضائية.

كما أن هناك مئات من الطرق للتحايل على القوانين، وعلى واضعيها.. الأمر بسيط استمتع.

الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج كانت مرخصة في كل دول العالم، ومن رفض ترخيصها لم يقمعها.

نحن في أدنى منحنى من منحنيات الانهيار البشري الأخلاقي والبيئي والثقافي والديني.. العالم كله على شفا الهاوية.

وبالطبع لم تكن تلك الممارسات رخيصة؛ بل كانت مكلفة. فأنت لم تعد تذهب لتثير إعجاب أنثى، ثم تتقرب منها ثم يخفق قلباكما ويربطكما الرباط المقدس، فتمارسان علاقتكما الحميمية في إطار شرعي بعد أن سحقكم العبء المادي.

الأمور تبدلت؛ رفيقك الجنسي أو رفيقتك الجنسية سيصل إليك بخدمة التوصيل السريع إلى باب بيتك، فقط تأكد من تسديد المصروفات.

عالم كامل يعيش على الغرائز ومن أجلها؛ بعد أن تشوهت فطرته وتلاشت أخلاقه، ولكن من يأبه بكل تلك الشعارات.

أنت حر ما لم تضر.

أعاد (شادي) دراسة نفقاته خلال الشهر ودرس ما يمكن التخلي عنه، وفي النهاية أدرك أن مخلوقًا

مهجنًا على شكل امرأة يكفيه لشهر كامل قبل أن ينتظر لثلاثة أشهر ؛ ليجمع مبلغًا لإصدارٍ جديد معدل.

كانت تكلفة عالية، ولكنها تستحق.

وعلى الفور أتم الأمر وحول المبلغ إلى حساب الشركة؛ لتقلع على الفور طائرة صغيرة بدون طيار ليصل له طلبه خلال نصف ساعة مع المسحوق و مكعب التعليمات.

كان يشعر بإثارةٍ لا مثيل لها.

أخيرًا تحقق حلمه، فقط كل ما عليه فعله أن يضغط على ذلك الزر الموجود أعلى المكعب.

الأمر شديد السهولة، لا تعقيد فيه.

ضغط الزر، ومن المكعب ظهر له وجه تلك الحسناء الموجودة بالإعلان المثير، وبصوتها المثير أخذت تملي عليه تعليمات الاستخدام. وبكل ما يعتريه من حماسٍ تابع هو تنفيذ التعليمات.

وبقلب الحديقة الخارجية؛ أخرج البذرة الفسفورية ثم دفنها بقلب التربة، وخلال خمس ساعات داوم على ريها بالماء المخلوط مع ذلك المسحوق الأخضر الذي

صاحب البذور، ثم شاهدها وهي تنمو كفتاةٍ زراعية ضئيلة الحجم. كانت تنمو في كل دقيقة كالسحر وسط أشجار الحديقة بفضل عقار النمو الفائق.

وبعد مضي خمس ساعات؛ دوى الصوت من داخل مكعب التعليمات:

– لقد حان الوقت لتتسلم طلبك.

داعبت (شادي) كل أحلامه الجنسية حتى أنه أغلق باب الحديقة بالقفل الإلكتروني، وقرر أن تكون مرته الأولى معها هناك، وعلى الحشائش .

وبكل حماسٍ ورغبة وشبق؛ انقض عليها ليفض بكارتها وينهي عذريتها.

ولم تمانع الفتاة الزراعية حديثة العهد بالحياة، واستجابت له.

مرت لحظات وهو غارق في النشوة.

وفجأة شعر بأن جسده يحترق، وبأن هناك ممسات وأهداب تعبث بكامل جسده، وكأن هناك جيشًا من الحشرات يلسع جلده.

فانطلق يعدو عاريًا للحمام ليتخلص من هذه الحشرات اللاسعة.

وفي الخلفية دوى الصوت من مكعب التعليمات:

– بعد الولادة يجب غمر الفتاة في محلول منظف؛ مضاف إليه باقي المسحوق. إن من عانوا من لدغات الحشرات السامة التي تنمو على جسد الفتاة مازالوا يتلقون العلاج دون نتيجة حقيقية، والشركة تخلي مسؤوليتها عن أي ضرر يقع للعميل نتيجة جهله، أو عدم اتباعه للتعليمات.

ليلة خضراء سعيدة.

صلابة

– أتعرف كيف يتشوه مجتمع كامل؟

– بقسوة الآباء.

* * *

صفعه والده على وجهه بعنفٍ شديد بعد أن أسقط الطبق الخزفي الذي كان يحمله؛ ليتحول إلى فتات صغيرة ناثرًا الطعام الذي كان بداخله في كل مكان، ثم نهره صارخًا:

« كفاك هشاشة ، كن رجلًا.. كن صلبًا.»

ظلت هذه الذكرى تتردد في عقل العالم الكيمائي دكتور (خالد كمال) طوال ثلاثة عقود؛ لتذكره ببنيته الهزيلة وشخصيته الضعيفة وطفولته المعذبة.

مما دفعه دفعًا ليجعل هدف حياته أن يجد حلًا لهذه المشكلة، فراح يعمل طوال العقود الماضية على هذا العقار الجديد الذي سيحقق حلمه وسيمنحه القوة والصلابة التي ستجعل منه إنسانًا خارق القوة. لا سبيل أمام أي شخص لمواجهته أو إهانته أو إيذائه.

ففي اليوم الذي صفعه فيه والده على وجهه أمام أبناء عمومته؛ تاركا آثار أصابعه الغليظة ملتهبة على وجنتيه وسط سخرية الجميع منه.. أقسم أنه لن يبكي مجدداً، ولن يسمح لأحدٍ مهما كان بأن يهينه أو يسخر من بنيته الهشة.

لذا فإنه قد التحق خصيصاً بكلية العلوم قسم الكيمياء الحيوية؛ ليحقق حلمه الذي لم يفارقه لحظة واحدة بابتكار ذلك العقار الفذ الذي سيبدل من خصائص خلايا جسده وكيميائيته، ويمنحه ما يصبو إليه.

وعلى مر السنين؛ لم يتسلل اليأس إلى روح (خالد) الجريحة قط؛ لذا فقد درس ونشط خلال سنواته الأولى بالجامعة حتى تدرج في مكانته العلمية من معيد إلى أستاذ مساعد، ثم أستاذ حتى حصل على الدكتوراه.

وها هو على مشارف تحقيق حلمه ولا تخلو دورية علمية من ورقة بحثية له في مجالات الكيمياء المختلفة التي لم يترك منها فرعًا إلا وأدلى بدلوه فيه.

لقد أصبح من المؤمنين بأن التخصص يقتل الخيال وبالتالي الابتكار والتقدم؛ لذا فقد سعى نحو حلمه بمزيدٍ من العلوم والأبحاث.

حياته لم تكن سهلة أبداً، فقط لو تمتع ببعض الوزن وبعض العضلات.. ربما لتغيرت أمور كثيرة في حياته.

والدته كانت تصر صيف شتاء على حشوه بالملابس، وتلك النظرة المشفقة الممزوجة بالحسرة كانت تمزقه.

دأب على التهام الطعام كخرتيت مصاب بجوعٍ أبدي؛ مارس الرياضة لساعات طويلة. تناول الوصفات البلدية ووصفات خطها له خبراء في مجال التغذية دون فائدة ترجى.

كل المجهود يذهب أدراج الرياح؛ جسده لا يبالي بما يعانيه ويستمر في إحراق الطعام كموقد ضخم.

والده كان دائم التعنيف له.. لا يصفه إلا بالهش، ودائماً ما كان يلعن تلك الظروف التي منحته طفلًا معلولًا مثله.

ولم يقتصر الأمر على المحيط العائلي، فالمدرسة كانت الجحيم الحقيقي بالنسبة له؛ الطلبة في المدرسة كانوا يطلقون عليه هناك ألقاباً مضحكة كالقلم الرصاص و الفزاعة وعود الثقاب، وهذا كان الجزء السهل من معاناته اليومية. أما الجزء الصعب فكان يتمثل في ذلك النوع المتوافر بكثرة من

الطلبة الساديين واللذين جعلوه وسيلتهم الدائمة والمتاحة للتسلية وفرض السيطرة على الآخرين.

أما النوع العنيف منهم؛ فاعتبروه نموذجًا بشريًا للتدريب يغني عن كيس الرمل الثقيل المعلق في غرفة الرياضة؛ لذا كانت الكدمات ملتصقة بوجه دائمًا وكأنه خلق بها.

ذلك السيل الرهيب من المهانة والمعاملة السيئة حطم نفسيته تمامًا، ولكنه زاد من عناده فأصر على التفوق وحصل عليه، ولكن حتى تفوقه لم يجعل المجتمع يغفر له مظهره الغريب ولا هشاشته.

الحادثة التي قصمت ظهره وزادته إصرارًا على إنجاح تجربته؛ كانت لقاءه بـ (عبير). تلك الفاتنة ذات البسمة اللؤلئية الساحرة.

و(عبير) كانت طالبة جديدة في الفرقة الأولى؛ تبدو كالنسيم العليل.. مجرد ظهورها في ساحة الكلية يثير الفوضى في القلوب ومنها قلبه هو.

إنها فاتنة وتدرك ذلك؛ لذلك عندما صارحها بحبه لها لم تفكر ثانية، ففي لمح البصر وزنته وقيمته

وقارنته بالطابور المتوقف خلفه لنيل رضائها، وكان ردها عنيفًا ساحقًا.

فسخرت من هيئته وشخصيته، ووبخته ودعته لينظر في المرآة قبل أن يزعج الآخرين، ثم أطلقت القذيفة في وجهه عندما أخبرته بأنه ليس في حاجةٍ لحبيبة أو عشيقة. الأفضل له أن يبحث عن ممرضة لتقبل أن تمرضه بنحوله الغريب هذا؛ إنه لولا صوته لما رأته بهيئته ثنائية الأبعاد تلك.

في هذا اليوم المشؤوم؛ عاد (خالد) إلى منزله محطمًا. كاسف البال. مكسور القلب. حانقًا على الدنيا بأسرها.. مشحونًا بطاقة هائلة من الغضب والثورة، وكأن المشاعر السلبية فقط هي التي تشحن بطاريات العناد بداخله. أقسم أن ينجح مهما كانت التضحيات حتى أنه أنفق كل مدخراته ليبدأ المشروع.

ثلاثة عقود مرت منذ حدث هذا الموقف المخزي مع (عبير)، ومنذ بدأ (خالد) تجاربه الخاصة. ولم يكن الأمر سهلًا أو هينًا.

كان قلبه يتمزق وهو يشاهد تلك الحيوانات الضالة التي يحملها من الشارع إلى معمله؛ تتألم ثم تموت نتيجة ما تم حقنها به من العقارات التجريبية الأولى.

ولكن حماسته لم تفتر لحظة، والشوارع لم تخل من الحيوانات الضالة. وفي النهاية وصل لنتيجةٍ مقبولة ولكنها ليست المرجوة.

العقار الأخير نجح في منح جسد ذلك القط الضال قوة مفرطة حتى أنه عندما انهال على رأسه بالمطرقة المعدنية الثقيلة؛ لم يبد على القط أي تأثر. وعندما حاول سحق جسده تحت الخزانة الثقيلة؛ خرج من تحتها ببساطة وكأنها لا وزن لها.

يومها كاد أن يطير من الفرحة، ولكن لا تأتي الرياح أبداً بما تشتهي السفن. فبعد مرور ساعة كاملة سمع عواءً عنيفاً بداخل المعمل. وعندما دخل إلى هناك بقلب منفطر؛ وجد القط منتفش الشعر، جاحظ العينين، متقوس الظهر. يتلوى وكأن هناك من يمزق أحشاءه من الداخل حتى أن (خالد) شعر بالفزع، واعتصرت قلبه يد باردة صلبة وهو يرى المشهد الدموي الدائر أمامه بعيون غير مصدقة.

لحظات طويلة مرت قبل أن يستجمع شتات نفسه ويقرر مساعدة القط، وفي اللحظة التي اقترب فيها من القط قفز القط مبتعداً؛ ليحلق في الهواء للحظات وهو لا يتوقف عن التلوي أو العواء قبل أن يسقط على الأرض في عنف؛ لتتحطم قوائمه في مشهدٍ بشع وكأنها خلقت من زجاج.

* * *

لقد نجح العقار، ولكن مفعوله كان قصيرًا جدًّا، ويصيب الكائن موضع التجربة بالهشاشة الشديدة. إنه نجاح يماثل الفشل تمامًا.

هذا هو ما سجله في مذكراته قبل عام كامل.

وطوال العام السابق؛ انهمك في تصحيح المعادلات ومحاولة البحث عن سبب الخلل، وعلى يديه نفق وتهشم عشرات من الحيوانات الضالة والحيوانات التي دأب على شرائها من محلات الحيوانات الأليفة والتي أرهقت ميزانيته بشدة.

وبرغم كثرة العقبات والإخفاقات؛ إلا أنه واصل واستمر. وفي النهاية توصل للمعادلة المطلوبة.

وهاهي الساعة الستون التي تمر على القط الجديد دون أن يصاب بالهشاشة. القط السابق قام بقتله بحرمانه من التنفس؛ رأفةً به لأنه لن يستطيع أن يقاوم فأرًا بحالته هذه. كما أنه لن يستطيع الاستمرار بقوائم مهشمة.

أسبوع كامل مضى على القط دون أن تحدث الانتكاسة أو يصاب بالهشاشة. التغيير الأول الذي لاحظه دكتور (خالد) على القط هو زيادة شهيته

لدرجة كبيرة، وعزا هذا الأمر إلى سرعة التحول. فيبدو أن الخلايا المتحورة تستهلك من جسده طاقه هائلة لتقبل الأمر؛ لذا فالقط بحاجةٍ مستمرة للمزيد من الطعام. والملاحظة الثانية التي دونها هي أن حركة القط أصبحت أبطأ، والقط عامة أصبح كسولًا. وعزا تلك الأمور لزيادة وزنه وهو أمر مقبول إلى حد ما.

الآن يستطيع أن يتنفس الصعداء، فقد نجح الأمر وصار قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمه.

العقار الآن يزيد الخلايا صلابة ويزيد الوزن؛ إنه العقار المثالي دون شك.

وداعًا لهشاشته ونحوله وضعفه.

اليوم سيولد من جديد.

أجرى فحصًا أخيرًا للقط، وراجع كل المعادلات وكل العناصر وهامش الخطأ، وفي النهاية تأكد من ثبات العناصر الكيمائية المكون منها العقار ؛ لذا فلن تفاجئه أي طفرة أو تفاعل غير محسوب.

الآن فقط يستطيع أن يحقق حلم حياته ويصبح أقوى وأصلب.

الآن فقط سيتخلص من عقدته، ويتغلب على تلك الهرمونات التي وهبته هذا الجسد النحيل المشوه.

* * *

هيأ نفسه نفسيًا على تقبل تلك القوة الجديدة، فهو يعرف تلك القصص المأساوية عن من فاجأهم الثراء فأصيبوا بالجنون. هو لا يريد أن يجن عندما يمتلك كل تلك القوة المفرطة.

الآن هو يجلس وأمامه المحقن الذي يحتوي على العقار. التردد يبدو على ملامحه وتلك المقولة التي قرأها في مكان ما تلح على عقله:

– « ليست القوة دائمًا هي الطريق الصحيح.»

هز رأسه وهو يتمتم:

– « وليس الضعف بطريق من الأساس.»

حقن نفسه بالعقار في وريده العنقي، وعينيه مسلطتين على القط الذي يتحرك بصعوبة من فرط الوزن. زيادة الوزن لم تكن تقلقه، بل كانت أحد أسباب بهجته. فأخيرًا سيحظى جسده الهزيل ببعض الشحوم والدهون، ولكنه لن يبالغ في

تناول الطعام كهذا القط الشره. إنه إنسان عاقل ويستطيع كبح جماح هذه الشهوة.

لحظات، ثم شعر بالألم الهائل الذي أخذ يضرب خلاياه.. لوهلة شعر بأن خلاياه تتمزق بل تسحق، ثم شعر بها تذوب وتنفجر كقذائف ملتهبة صغيرة بداخل جسده، مما جعل الألم يطول ويتنوع فسقط على الأرض يتلوى كما كان القط الأول يتلوى ويتألم.

شعر بحرارة هائلة تغلف جسده وكأنه يشوى حيًّا.

هناك فوران داخلي، وكأن بركانًا ثائرًا ينفجر في أعماقه.

وفي النهاية؛ مادت به الأرض فتهاوى فاقد الوعي. والعقار يقوم بعمله ليمنحه الصلابة المرجوة.

أو هكذا اعتقد.

* * *

وبعد شهر كامل. وبعد أن تلحفت الشمس بردائها الأسود، وتركت لون الحداد يسيطر على الكون مبشرًا بقدوم الليل؛ اخترق (خالد) تلك المنطقة الشعبية شديدة الخطورة، والتي لا يجرؤ

رجال الشرطة أنفسهم على دخولها بعد غروب الشمس. وكله أمل بأن يحظى ببعض المرح هذه الليلة.

إنه يقوم الآن بمهمة جليلة من أجل البشرية؛ لقد خرج في وقتٍ قياسي من عباءته الذاتية الضيقة – بعد أن نجح العقار وحقق حلمه – إلى العباءة الفضفاضة للبشرية ككل.

لقد آمن أن قوته هذه لو لم تستخدم في سبيل الخير، فإنها ستستخدم لا محالة في سبيل الشر .

وهاهو الليلة يقوم بمهمة جديدة من تلك المهام التي كلف نفسه بها؛ إنه يكافح الجريمة في محيط مدينته.

القاهرة في الليل وفي مثل هذه الأماكن النائية تحديداً تتحول إلى مدينة شديدة الخطورة؛ يرتع بها القتلة والمجرمون ورجال العصابات. لقد نسيت الدولة هذه الأماكن أو تناستها وهم لم يطلبوا منها شيئًا.

الدولة صدرت لهم الإهمال وهم يصدرون لها كل موبقات الدنيا؛ لذا وجب على شخص من خارج المنظومة أن يحدث التوازن المنشود، و (خالد) قد وهب نفسه بقوته الجديدة لتحقيق ذلك الأمر .

ولأنه لن يواجه الشر بالشر، فقد اقتصر الأمر منه على إفزاع هؤلاء المجرمين باختراق عرينهم وإفساد صفقاتهم ومنحهم درسا قاسياً؛ سيجعلهم يفكرون ألف مرة قبل العودة لطريق الشر .

إنه يشعر بنشوة عارمة ولا يخفي إعجابه بنفسه لحظة.. لقد منحته زيادة الوزن وسامة معقولة ومنحته القوة ثقة بالنفس بلا حدود.

إنه يحمل بداخله الآن رضًا يكفي عدة أجيال، فقط يحتاج لقناع ولن يختلف عن أي بطل من أبطال القصص المصورة.

الآن هو يمارس مهمة نبيلة، ولن يستسلم لنشوة الشعور بالقوة فيتجه بها صوب الظلام.

هاهو يتسلل من خلال السور الخشبي الذي يحيط بذلك المستودع الذي يجتمع بداخله المجرمون، وبضربة واحدة من قبضته طارت الألواح الخشبية المثبتة إلى تلك العوارض المعدنية السميكة المكونة للسور، فهيأت له منفذاً لا بأس به للدخول. وخلال دقيقة واحدة كان قد تسلق جدران المستودع بخفة فهد حتى وصل إلى السقف المصنوع من الصاج المتعرج والذي أخذ يئن تحت ثقله.

للحظات تساءل؛ أهو الوزن أم القوة؟!

ولكن السقف الهش لم يمنحه الفرصة ليمعن التحليل والبحث، فقد تهاوى في ثوان معدودة. وفي اللحظة التالية كان وسط عصابة المجرمين الذين انهمكوا في تغليف شحنة المخدرات التي وصلت إليهم منذ ساعات عبر البحر تمهيداً لتوزيعها على تجار القطاعي، والذين سيقومون بدورهم بتوزيعها على زهرة شباب مصر ليقبعوا في غيبوبة المخدر.

قبضته تسحق رأس الأول، وتهشم القفص الصدري للثاني.. الرصاصة التي أصابته مزقت ثيابه ولكنها ارتدت في عنف عن صدره لتطيح بأحد أكياس المخدر، لقد شاهد مشهداً مماثلًا في فيلم سوبرمان الأخير، لقد صار خارقًا مثله.

إن المرحلة التالية هي البحث عن الخلود. الكيمياء لم تخذله في المرة الأولى ولن تخذله في الثانية، واتسعت ابتسامته.

إنه منيع جدّا، ولو اكتسب بعض السرعة لأنهى الأمر في زمنٍ وجيز، ولكن العقار أكسبه الصلابة دون المرونة.

وفي خلال دقيقة واحدة كان قد أجهز على الخمس رجال والمرأة التي كانت معهم؛ إنه لم يقصد أن يؤذيهم إلى هذه الدرجة. كان يريد فقط أن يبث الرعب في قلوبهم ويتخلص من شحنة المخدر.

لم يكن ينوي أن يواجه الشر بالشر، ولكن يبدو أن قوته تتزايد بمعدلٍ أسرع مما كان يتوقع.

ومشكلة القوة المفرطة التي بلا كابح أنها تكون مدمرة؛ لذا فإنه غادر المكان بعد أن أشعل فيه النيران ليترك خلفه ستة جثث مهشمة تلتهمها النيران وسط سحب المخدر .

غادر المكان وهو في حالةٍ غامرة من النشوة، ونسي كل شيء عن جريمته البشعة. لم يدرك المعضلة الأخلاقية في الأمر.

فلا أحد قد عينه قاضيًا ليحكم بالموت على ست أنفس، هناك قوانين وشرائع تحكم المسألة والقوة ليست قانونًا معمولًا به إلا في شريعة الغاب.

ولكنه في هذه اللحظة لم يكن يبالي بأي شيء، لقد أخطأ قليلًا في تقدير قوته. يكفيه الآن ما يشعر من نشوة؛ إنه يتجرع القوة حتى الثمالة والقوة تسكر دون شك، ولكن ما أفسد عليه هذا

الشعور الفائق؛ هو ذلك الجوع الهائل الذي اجتاحه وجعله يشعر بآلامٍ لا تطاق في معدته.

لابد وأن يقوم ببحثٍ خاص يقضي على مشكلة الجوع هذه، وربما بحث أيضًا في مسألة المرونة.

الآن عليه فقط أن يعود إلى معمله، لقد مر ما يربو على شهر كامل من آخر مرة زاره فيها. لابد وأن الطعام الذي وضعه للقط انتهى منذ وقت طويل.

فهل هلك القط؟!

لقد نسيه هو الآخر في خضم إحساسه الجارف بالقوة، ولكن هذه المرحلة قد انتهت تمامًا. لابد أن يعودٍ لهدوئه وليسيطر عقله على جسده. كفاه اندفاعًا وهو يملك كل الوقت، فالشيء الجديد الذي اكتشفه (خالد) أنه ليس بحاجةٍ إلى النوم لفتراتٍ طويلة.

فهو يحتاج في الأسبوع بأكمله لست ساعات فقط من النوم، وهذه ميزة هائلة لا يملكها بشري غيره وسيستفيد منها في تطوير العقار .

ما يضايقه هو صعوبة الحركة المفاجئة التي يشعر بها الآن. إنه يمتلك القوة والصلابة، ولكن حركته

أصبحت واهنة. وخلال الساعة الماضية حدث تدهوراً ملموساً.

لابد وأن يعود للمعمل بسرعة.

أوقف سيارة أجرة أقلته عبر الزحام، ولم يلتفت لنظرات السائق المندهشة والتي حدجه بها فور أن شعر بهبوط السيارة وضغطها على الإطارات، وكأنه يقيس حجم (رامز) ورد الفعل الذي صنعه. وفي النهاية هز السائق رأسه وانطلق بالسيارة.. فخلال مهنته هذه شاهد مئات الأحداث العجيبة ولن تكون هذه أغربها.

أما (خالد) فقد كان في دنيا أخرى من النسب والمعادلات والنظريات، وعندما عجز عن التوصل لشيء مرضي نحى كل شيء من عقله، فتذكر القط الذي تركه في المعمل المغلق منذ شهر كامل، وخلال الطريق الذي قطعته السيارة وهي تئن؛ احتلت كيانه كله صورة القط.

تُرى ماذا حدث له؟!

* * *

عبر الرواق المفضي نحو المعمل الملحق بمنزله في صعوبة؛ إن مفاصله تتصلب وتحريك قدميه أصبح



يتناول الطعام. لابد وأنه قضى من الجوع، ولابد وأنه يقبع في مكان ما في المعمل كتمثالٍ بالغ الصلابة لقط بدين، من سيعثر عليه لن يشك أبداً بكونه كان قطّا حقيقيّا في يومٍ من الأيام.

إنها النهاية دون شك.

إلى متى سيظل عقله مدركًا لما يحدث؟!

هل سيتألم؟!

هل سيقضي نحبه من الجوع أم من تصلب جسده؟!

إنه الآن يشعر بضعفٍ كاسح والجوع يسحق أمعاءه.. هل النهاية قريبة كما يتمنى، أم أنه سيظل يتعذب لفترة أطول؟!

إن ما يهون الأمر عليه الآن هي فكرة واحدة احتلت كل كيانه.

لقد عاش طوال عمره هزيلًا هشّا ضعيف البنية، ولكنه سيموت وهو أصلب من أي بشري على وجه الأرض، فقط السؤال الذي يحيره؛ أين الخطأ في تركيبة العقار ؟!

في القبو

نصيحتي لك يا (رامي)؛ ألا تصر على قضاء ليلتك هنا تحت سقف بيتي. خاصة وأنك قد رأيت بعينيك ما حدث لجثة أخيك المتخشبة بعد أن أخرجوها من المسبح.

وإن نمت، فلا تستيقظ من نومك بعد منتصف الليل لتتسلل إلى غرف البيت وتفتشها بحثًا عن دليلٍ غير موجود؛ لأن من شوهوا الجثة لا ينشطون إلا ليلًا.

وإن استيقظت فلا تترك الفراش حتى لو شعرت بحرارة من ينام بجوارك ولا تراه، فإنهم سيغضبون كثيرًا عند إزعاجهم.

وإن تركت الفراش فلا تصدر جلبة.. فإنهم يكرهون الضوضاء. ومن فعلها قبلك ترقد جثته في المشرحة بعد أن أفزعت الطبيب الشرعي نفسه.

وإن فتشت البيت كله فلا تهبط إلى القبو لتفتشه. فأنا لا أريد لك الضرر.

وإن هبطت إليه، فإنك أحمقٌ كبير تستحق مصيرك، ولا تلومن إلا نفسك.

لماذا أقص عليك كل هذه التفاصيل والتحذيرات؟!

والإجابة هي؛ لأنك أصبحت شخصًا كريهًا يا (رامي) وغافل عن كل ما يدور تحت سقف بيتي، وزياراتك المستمرة واستجوابك لي أصابونني بالملل والغضب، وهذه التحذيرات كانت فرصة أخيرة لتقرر مصيرك بنفسك لأنني لن أتحمل ضغطك أكثر من هذا.

ولو كان الأمر بيدي لغادرت المكان كله كي لا أقابلك وربما البلد كلها، ولكنني لا أستطيع مغادرة بيتي مهما حاولت أو عاندت أو رغبت. أنا سجين هذه الجدران إلى الأبد وحتى يطلق سراحي سكان القبو.

هل هناك قبوًا في الفيلا؟

أأنت أحمق أم فاقد للذاكرة؟!.. لابد وأن يكون هناك قبو. ألم أذكره في التحذيرات؟.. ألم ترى عنوان القصة؟.. ستكون من السخافة أن نطلق عليها هذا الاسم دون أن يكون هناك قبو.

المصيبة يا (رامي) أن هناك قبوًا.

وليكن لديك كامل المعرفة؛ أن الأنين الذي تسمعه الآن ليس بلا سبب وليس وهمًا، وأن من تسبب به هو من قتل أخيك.

لا تجعل عروق رقبتك تنفر بهذه الطريقة، ولا تجعل عينيك تتسعان في ظفر. إن ما أتيت تبحث عنه ينتظرك، وأنا منحتك فرصة وأنت لم تنصت لتحذيراتي.

أعرف أنك غير قادر على الحركة أو الحديث؛ لأني قيدتك بعد أن خدرتك. فأنت مفتول العضلات ولن أقدر على ردعك لو أردت بي شرّاً.

ولأنه من حق المحكوم عليه بالإعدام طلب أخير، فأنا سأجلي لك غموض مقتل أخيك ليستريح قلبك، ولكن عليك أن تستمع للقصة من البداية أم أنك تتعجل مصيرك؟

لا تستطيع الرد!

لا بأس لتنصت جيداً لتعرف؛ كيف بدأ الأمر ولماذا مات أخوك الأحمق؟

ففي ذلك اليوم، وعندما عثرنا عليه جثة هامدة بداخل المسبح، لم نجد سببًا أو مبررًا لموته إلا أن أجله قد حان، فهو سباح ماهر ولديه القدرة على حبس أنفاسه لوقتٍ طويل، وهو شيء لم يتوقف عن الفخر به يومًا، فكيف يموت غرقًا في مسبح فيلتنا الضحل؟!.. بل وكيف يتشوه جسده بهذه الطريقة العجيبة؟!..

المخيف أكثر كان ما حمله تقرير الطبيب الشرعي الذي حصلت على نسخة منه بعد دفع رشوة معقولة كي أخمد فضولي بعدما تعقدت الأمور في وقتٍ لاحق.. وكان تقرير الطبيب الشرعي يوحي بأن كل أعضاء كمال الحيوية قد احترقت من الداخل، وأن تشوه الجسم الخارجي كان مجرد رد فعل للحرارة العالية التي أذابت هذه الأعضاء وهو بقلب الماء، وكان تقديره أنه لا يمكن أن يكون ما حدث قد تم بتدخلٍ خارجي؛ إلا لو كان بوسيلة مجهولة لم يتم رصدها أو توثيقها علميّاً.

وعندما راجعت كل أفعاله طوال ذلك اليوم كانت طبيعية لأقصى مدى، فلم يكن هناك إنذار ما أو علامة على رحيله، فقط الشيء الوحيد الغير طبيعي أن شقيقتي أخبرتني أنها رأته خارجًا من القبو قبلها بعدة دقائق، وكان هذا شيئًا مريبًا، فالقبو لا يحتوي على أي شيء ذي أهمية، ربما قرر ذلك الأحمق تدخين سيجارة حشيش هناك.

أما الملاحظة الثانية والتي أخبرتني بها شقيقتي، وأيقنت عن طريقها أنها تهذي أو تتوهم؛ أنها رأت بعدها مباشرة عمود دخان أسود يتسلل إلى داخل القبو من تحت عقب الباب المغلق، وعندما طاردته لتتأكد من كونه ليس ناجمًا عن حريق؛ لم تجد أي شيء وإن شعرت من داخلها بأن هناك شيئًا غير جيد يحدث في القبو.

وبعدها لم تعد أختي على طبيعتها، وأصبحت تهاجمها الكوابيس ولا تتوقف عن الحديث عن المخالب التي تحاول اقتناصها، وسحبها إلى باطن الأرض.

وفي ذلك اليوم الكئيب الذي لم يمض عليه سوى أسبوع واحد من الآن؛ شاهدت أختي الصغرى تختفي بداخل الجدار، نعم تختفي بداخل الجدار ليس هناك خطأ مطبعي هنا.

كانت تقف مذعورة وخائفة، وهي تشير إلى أحد الجدران البعيدة عن الضوء المباشر في صالة البيت، فاقتربت منها وأخذت أهدئ من روعها وأربت على رأسها قبل أن أتذكر؛ كيف ماتت منذ عامين!!.. لتغزو جسدي قشعريرة باردة تحولت إلى انتفاضة وذعر، عندما رأيتها تنظر لي بلؤم نظرة جمدت الدم في عروقي قبل أن تختفي بداخل الجدار.

بعدها مباشرة؛ بدأت أصوات غريبة تصدر من داخل الجدار، وكأن هناك من يتحرك داخله أو يحاول هدمه للعبور من خلاله، فتسرب إلى كياني خوف مريع؛ جعلني لأول مرة في حياتي أتمنى لو لم أكن وحيداً، فهناك درجة معينة من الخوف يتلاشى معها كل تعقل وكل إحساس بالغرور.

وعندما عاد الهدوء للمكان؛ تذكرت على صدى الحادثة الشنيعة شقيقتي (ياسمين) بضحكتها الرائقة وروحها الخفيفة وشقاوتها المحببة.

لم يكن موتها هينًا لينسى؛ بل كان ملحمة كاملة من البشاعة والغرابة.

البشاعة؛ لأن كلاب الجيران مزقتها أمام أعيننا جميعًا في لحظات، ونثرت دماءها وأشلاءها المحترقة داخليًا في حديقة منزلنا، والغرابة كانت في ذلك الظل الدخاني الذي فارق جسدها وتماوج في الهواء كدخان أسود قبل أن ينقض على الكلاب ليمزقها إربًا؛ ليختفي بعدها بداخل فيلتنا.

ولا أعرف ما الذي جعلني ساعتها أفكر في القبو. لابد وأن تلك الحمقاء نزلت إليه لسببٍ ما، فدفعت ثمنًا غاليًا.

لم يكن هذا هو الموقف المخيف الوحيد الذي مررت به خلال تلك الفترة المشؤومة في حياتي، فبعد مرور عدة أشهر لحق بها أبي وأمي في حادث سيارة مأساوي شهير كتبت عنه الصحف في حينها؛ من قرأه أو تابع تفاصيله لم يعرف النوم الهادئ لأيامٍ طويلة، فهو حدث كريه من تلك الأحداث التي تلتصق بالذاكرة ولا تغادرها أبدًا كرائحة الجروح المصابة بالغرغرينا، فبرغم بشاعته ووقعه على

روحي لم أنسه لحظة واحدة، ولم أنس ولو أدق التفاصيل عنه.

وكنت ساعتها مؤمنًا أن الخطأ يقع بالكامل على عاتق أبي وبرغم أنه نال جزاءه عنه بالموت؛ إلا أنني لم أغفر له قط حرماني منه ومن أمي وتشوه وجهي.

لاحظتم بالطبع ذلك التشوه الذي يشبه الندبة الذي يحملها وجه بطل فيلم جون هيكس، وهو شيء لا يمكن لمراهق بأي حالٍ من الأحوال تقبله، ولن يرى بسببه أن نجاته من الموت هو حظ حسن، بل هو عقاب شنيع ناله بسبب حماقة وتهور أبيه.

فلم يكن عليه في تلك الليلة مهما كان إرهاقه؛ أن ينطلق بسيارته خلف تلك الشاحنة المحملة بالأسياخ المعدنية الحادة والتي تتجاوز طولها.

لم يكن عليه أن يقترب منها لهذه المسافة المقلقة. هو يدرك أن معظم السائقين يتعاطون المخدرات طوال الوقت؛ لتساعدهم على السهر والتركيز في القيادة وهو شيء غير منطقي لم أفهمه حتى الآن.

كان عليه أن ينصت لصوت أمي التي حذرته من قيادة السائق المتهورة. وكان عليه ألا يجعلني أمر

بذلك الموقف الشنيع من الأساس. كنت في السابعة عشرة من عمري حينها ولحسن حظي أو لسوئه؛ أني كنت جالساً في المقعد الخلفي عندما تذكرت أمي شيئًا ما، فقالت بصوتٍ مرتفع موجهة حديثها لأبي:

– لابد من تغيير مواسير التغذية بالقبو، لقد فحصتها اليوم وقد أكلها الصدأ.

وعندما رنت في أذني كلمة القبو؛ شعرت بانقباض هائل في قلبي، في نفس اللحظة التي تمزقت فيها الحبال التي تثبت الأسياخ المعدنية الصدئة إلى الشاحنة الكبيرة التي كانت تنطلق أمامنا بسرعة متوسطة محتلة منتصف الطريق لتحصرنا خلفها؛ لتنفصل عنها الأسياخ المعدنية في عنف وتنطلق كالرماح في لمح البصر لتشق جمجمة أمي وتهشمها، وتخترق في نفس اللحظة حلق أبي وتفجر عينيه وتسحق صدره.

لينفلت منها سيخ سميك ليخترق جسد أبي ومقعده وينغرس في خدي قبل أن يتوقف ممزقًا لحم صدغي؛ لأشعر ساعتها بألمٍ مروع وطعم الحديد الصدئ في فمي.. لابد وأن هذا هو طعم الموت نفسه.

ظللت لنصف ساعة كاملة مثبتًا في وضعي المؤلم العاجز، وعينيّ مثبتتين على رأس أمي المهشم والألم يصفعني كعاصفة ثلجية؛ ليحوم وعيي حول الرأس المهشم كالذباب غير مصدق وغير مستوعب، مع إحساسي بشللٍ تام في أطرافي قبل أن يتم إنقاذي.

الغريب أن أحد هواة التصوير سجل ذلك الحادث البشع، وإن كانت الصورة رديئة إلى أقصى مدى، وعن طريقه حصلت على تلك النسخة الرديئة التي وثقت أبشع لحظات حياتي. والمخيف أنه كلما أعدت مشاهدة الفيديو؛ رأيت الظل المفزع الذي رأته أختي يوم مصرع (كمال) والذي غادر جسدها الممزق وفتك بالكلاب، وهو يحوم حول حبال الشاحنة، ولولا رداءة التصوير لأقسمت لكم أنه غادر سيارتنا متسللًا عبر جسد أمي قبلها بلحظات؛ ليمزق تلك الحبال لتقع هذه المأساة.

كان هذا الظل هو السبب في فقداني أمي وأبي وشقيقتي، وجعلني وحيداً. وهو الشيء الذي أحذرك منه يا (رامي).

أعرف أن التحذير متأخراً، وأعرف أن عينيك المتسعتين دليلًا قويّا على عدم التصديق، وأعرف أنك تشك أن لي يداً في مصرع أخيك. وأعرف أنك تعرف أنني أعرف أنك لا تحبني.

وأن قدومك يوم ذكرى وفاة أخيك هو نوع من التكدير المتعمد لي.. أهنئك عليه؛ لأنك لن تعثر على قاتله فقط، بل وستلحق به.

أخبرتك من قبل أنني عاجز عن الخروج من بيتي حتى لو أردت أو حاولت أو قاتلت، وهذا ليس دون سبب.

فبعد أن رأيت الظل في الفيديو المسجل وأدركت مدى شروره، وعلمت من أعماقي أن دوري آتٍ لا محالة، أعلن الظل عن نفسه على هيئة شقيقتي أحب المخلوقات إلى قلبي، في محاولة ناجحة منه لترهيبي وكسر إرادتي.

لم يكن مجرد ظل ولم يكن دخانًا ولم يكن مخلوقًا واحداً، بل كان مجموعة من المخلوقات الشيطانية دقيقة الحجم ذات وعي جمعي شامل، والتي غادرت باطن الأرض مطرودة من عالمها السفلي وسكنت القبو منذ فترة قصيرة، وكانت تتعامل بكل عنفٍ مع من يخترق منطقة نفوذها وتعاقب كل من يزعجها بالموت، خاصة وهي لم تتكيف بعد على أجواء عالمنا ولا أحجامنا ولا طريقتنا في الحياة.

وكان حجمها الصغير ميزة لها جعلها تتحرك في حريةٍ وأمان، بل وتحدد أعداءها وتتعقبهم

وتفنيهم، كما كانت تتعامل في عالمها قبل النفي.

حجمها الصغير منحها ميزة أخرى وهي سكنى أجساد البشر وقراءة عقولهم، بل والسيطرة عليها.

لا تجعل عينيك تتسعان خوفًا بهذه الطريقة يا (رامي) فجسدي خالٍ منها؛ ألا ترى أني الوحيد في هذه القصة الذي لم يُصَب بأذى. إنها لا تحتل أي جسد إلا ودمرته.

لقد عقدت معها اتفاقًا؛ أن أظل خادمها حتى تتكاثر إلى العدد المناسب الذي تتطلع إليه، وبعدها ستحررني.

المشكلة الوحيدة؛ أنني ملزم أمامها بإحضار عدد معين من البشر كل شهر؛ ليعملوا كحاضنات لبيضها ولتتغذى عليه يرقاتها بعد الولادة.

أعرف أنه مصير شنيع يا (رامي).. ولكنه ليس أشنع من مطاردتك لي طوال عامين كاملين على ذنبٍ لم أرتكبه.

وأعرف أنك ستظل حيّا وتلك المخلوقات الدقيقة تتسلل داخل جسدك؛ لتلتهم أعضاءك الداخلية

الغَضّة..

وأعرف أنك ستتألم وكأنك تُشوى في نار الجحيم؛ من الحرارة الناتجة عند حركاتها واهتزازها..

وأعرف أنك ستتمنى الموت ألف مرة دون أن تحصل عليه..

ولكني أعدك في النهاية أنك ستموت وترتاح..

بعد أن عرفت قاتل أخيك..

الذي يسكن القبو..

تجربة كونية

– ماذا لو كان البشر مجرد تجربة كونية لمخلوقات من عالم آخر؟

– لا أعتقد أنها ستكون تجربة كونية ناجحة.

* * *

فاحت رائحة الشتاء في الأجواء، وتألقت السماء عدة مرات بضوء البرق الساطع؛ تلاها قصف الرعد الهادر لتغرق السماء تلك القاعدة العسكرية السرية بسيلٍ من الأمطار الغزيرة؛ ليتحول الأمر خارج القاعدة إلى جحيمٍ مائي هادر.

وبداخل القاعدة نفسها وتحديداً بقاعة الاجتماعات الكبرى؛ كان ينعقد أخطر اجتماع في تاريخ الأرض قاطبة وأكثرها سخونة بين رؤساء أكبر خمس دول في العالم.

فقبل ساعات قليلة رصدت وكالة (ناسا)، والمراصد المختلفة في دول العالم؛ هبوط مجموعة من سفن الفضاء الغريبة على سطح القمر، وهذا ما تسبب في إعلان حالة الطوارئ القصوى في العالم أجمع.

مما حذا برؤساء الدول الخمس العظمى للاجتماع في هذه القاعدة السرية لتبحث الأمر. في نفس التوقيت شرعت المراصد الإلكترونية العملاقة تهدر في قوة لترصد الحدث المذهل والأول من نوعه في تاريخ الجنس البشري.

المشاورات بين علماء البلدان الخمس وصلت إلى تفسير واحد منطقي، فهبوط هذه السفن الفضائية دون تمويه أو خداع يعد مؤشراً واضحاً على أن هذه السفن أتت بسلام.

وإن كان ينفي هذا سيل الصور التي ترسلها المراصد العملاقة والأقمار الصناعية التي تم توجيه تلسكوباتها لتواجه سطح القمر، والتي كانت تشير إلى أن السفن جميعها مسلحة وأسلحتها مفعلة.

إلا أن الجميع التزم حسن الظن، وهذا ما بعث القليل من الارتياح في القلوب، وبرغم ذلك ظلت الكثير من الأمور مشوشة ويلفها الضباب.

البعض فسر وجود هذه الأسلحة على أنه شيء طبيعي، خاصة مع الأخطار الكبرى التي ستصاحب رحلة مماثلة من نيازك وشهب ومفاجآت غير متوقعة عند اكتشاف الكواكب المأهولة عبر الكون، والتي قد تواجهها مخلوقاتها بعداء.

باعتبارهم طليعة غزو، فسيكونون في هذا الوقت مضطرين للدفاع عن أنفسهم.

إن سفن الفضاء الأرضية الغير مأهولة التي تجوب الكون طوال الوقت والتي لا تتوقف عن إرسال المعلومات؛ تثبت هذه النظرية.

خاصة وأن الكوكب الأخير الذي تم اكتشافه كان يحتوي على مخلوقاتٍ وحشية عنيفة وصلت لمرحلة الطيران بالوقود الحفري، وبدأت عصر الأقمار الصناعية. ولكنها لم تغز الفضاء بعد، وتتعامل مع بعضها بعنفٍ شديد والحروب لا تنقطع على هذا الكوكب.

ومع البدء في رحلات استكشاف الكواكب المأهولة خارج المنظومة الشمسية، بعد التأكد من عدم احتواء مجموعتنا الشمسية على مخلوقات حية.

إلا أن المعلومات المتوفرة لدى العلماء أكبر مما يتصور الجميع، ولكنها غير متاحة للعامة.

منها أن الكون يعج بالكواكب المأهولة والتي وصل بعضها إلى قمة السلم الحضاري بما يمثله هذا من أخطار، والبعض الآخر مازال في رحلته نحو التحضر .

الآثار القديمة التي تركوها على كوكب الأرض؛ كانت خير دليل على وجودهم وإن كانت دليلًا واهنًا بجوار الأدلة الموثقة الحديثة.

والآن في زمن الوقود الفائق الجديد؛ منحت سفن الفضاء المتطورة العلماء كل ما سعوا إليه، وأبلغتهم أن الكون ليس حكرًا على البشر وحدهم، ووجود البشر أنفسهم ليس حكرًا على كوكب الأرض.

أما الشيء الذي أثار الكثير من الأسئلة والتكهنات والقلق في قلوب وعقول العلماء؛ هي التصاميم الهندسية المختلفة للسفن الفضائية المتأهبة فوق السطح المضيء للقمر والمواجه للأرض، وتلك الشعارات المتباينة التي توجد على جوانبها. والتي توحي بكون هذه القوات القادمة من أعماق الكون لا تنتمي لقوة نظامية موحدة أو هي قوات رمزية من كواكب مختلفة.

ما الهدف من قدومها إذًا؟!

هذا هو الأمر الذي يجب أن تنشط من أجله استخبارات الأرض الفضائية كلها لتجيب عليه.

فالأمر غامض والتعامل معه يجب أن يتم بحذر، فمستقبل الجنس البشري كله على المحك.

* * *

انتصب السلاح العملاق فوق سطح القمر، فبدا كنصل هائل يشق أجواز الفضاء، وبدا مهيبًا للناظرين.

وعلى مقربة منه انتصبت مجموعة من سفن الفضاء التي يحمل كل منها شعارًا مختلفًا. بعضها مخيف وبعضها غير مفهوم، والبعض الآخر يمثل صورًا لشموس أو منظومات شمسية مما يغص بها الفضاء.

وفي قلب إحدى السفن العملاقة؛ تجمع عدد كبير من المهتمين بالسلاح.

وعلى منصة هائلة تعلو منطقة القيادة؛ وقف كائن ضخم الحجم مغطى جسده بأهدابٍ ناعمة لا تكف عن الحركة ليتحدث بانفعالٍ شديد عبر المترجم الفائق الذي كان يترجم حديثه بعشر لغاتٍ كونية مختلفة، وفي هذه اللحظة كان يتحدث بانفعالٍ شديد قائلًا:

– أيها السادة؛ إن ما أعرضه عليكم اليوم هو مجرد نموذج مصغر من السلاح الكوني (زد ١) والقادر على إبادة كائنات مجموعة شمسية كاملة من

الضربة الأولى؛ إنه السلاح الأعظم والأخطر الذي وجد منذ حدث الانفجار الكبير الذي تشكل منه الكون.

واليوم أعرض عليكم هذا النموذج لمن سيدفع أكثر. من يملك هذا السلاح سيمتلك معه القوة والأمان، فلن يجرؤ كوكب آخر على اجتياحه أو تهديده، وهذا السلاح لن تصنع منه إلا نسخة واحدة وتقنيته ستظل مجهولة كما هي سياستنا المعتادة. ادفع السعر الأكبر وتسلم السلاح دون أن يحصل خصمك على سلاحٍ مماثل.

أروني عروضكم، وليبدأ المزاد.

اعترض مخلوق فضائي آخر على المقولة الأخيرة، وهو يشيح بزوائده الحرشفية قائلًا:

– هل تظننا جميعًا مصابون بالغباء لنزايد على سلاح لم تتم تجربته بعد؟!.. لابد من تجربة السلاح أولًا.

تعالت الأصوات المؤيدة في حين غرق المخلوق ذو الأهداب في تفكير عميق قبل أن يقول بصوته الذي تردد قويًا عبر المترجم الفوري:

– فليكن سنجرب السلاح أولًا. هذا هو سبب قدومنا لهذه المجموعة الشمسية النائية.

ثم ضغط بإحدى زوائده على الزر؛ ليبدأ التجربة الكونية.

* * *

عندما رصدت المراصد الأرضية المتطورة ذلك السلاح العملاق المنتصب فوق سطح القمر، وحللت أجهزة الكمبيوتر الإستراتيجية الطيفية طبيعة السلاح؛ كانت الصدمة الكبرى.

إن السلاح برغم صغر حجمه ودقة صنعه؛ إلا أنه مزود بوحدة طاقة هائلة تبدو بجوارها طاقة الشمس كمصباح صغير، وهذا ما دفع الجميع إلى إعلان حالة الاستنفار الكبرى، وبدأ تهيئة سفن الفضاء بالأسلحة وحشد الجنود.

وساد الذعر في الكوكب كله، ونصبت كل الدول منصات الصواريخ النووية والنيترونية، وبدأت الجيوش في الاستعداد للمعركة القادمة.

وعلى الفور انطلقت سفن الفضاء نحو القمر لتهاجم العدو قبل قيامه باستخدام السلاح.

إلا أن الوقت كان قد تأخر كثيراً.

* * *

وعلى شاطئ الإسكندرية؛ جلس عاشقان يناجيان البحر.. أكفهم متشابكة وأنفاسهم متلاحقة؛ يظللهم القمر المكتمل وكل منهم يعد الآخر بالسعادة الأبدية، ولم يكتفيا بجعل البحر شاهداً بل وحدثا القمر ليشهد هو الآخر على إخلاصهما وصدقهما وعشقهما.

وعندما رفعا أعينهما إلى القمر، والبسمة تفيض من كل ملمح من ملامحهما شاهدا القمر يتألق، فاحتضنا بعضهما من التأثر.

إنها إشارة كونية مذهلة.. لحظة ستخلد في ذكرياتهما حتى النفس الأخير .

لقد تألق القمر من أجلهما .

وفي اللحظة التالية شعرا بالألم.

لحظة واحدة قبل أن يتلاشيا ويتحولا إلى غبار داكن.

لتتصاعد إلى السماء في نفس اللحظة؛ كمية هائلة من مياه البحر على هيئة بخار ساخن.

اجتاح الشعاع المحرق كل شيء حتى المخابئ النووية اخترقها؛ ليمحي كل أثر للحياة من فوق

الأرض.

ربما نجت بعض المخلوقات المائية التي تسكن الأعماق، ولكن لا أحد في الكون كله قد يعلم هذا إلا الخالق عز وجل.

السفن الفضائية جميعها أبيدت عدا سفينة واحدة استطاعت أن تغادر الكوكب، وتهرب لتتوارى خلف أكوام المخلفات الفضائية المتناثرة في فضاء الأرض والناتجة عن محطات الفضاء والأقمار الصناعية التي خرجت من الخدمة، ووجدت الدول أن تكلفة بقائها تدور حول الأرض أقل من تكلفة العودة.

وفوق سطح القمر أظهرت المؤشرات في السفينة الفضائية الرئيسية؛ أن كوكب الأرض كوكبًا خاليًا من الأحياء.

ولحظتها انفجر الجميع من الحماسة، وعاد المزاد الكوني للانعقاد بعد انتهاء التجربة الكونية.

* * *

وبعد عدة أيام من رحيل سفن الفضاء الغريبة من فوق سطح القمر؛ هبطت إلى الأرض سفينة الفضاء الأخيرة لتجد الكوكب كما تركوه بمدنه ومبانيه

وغابته التي أصاب بعضها الضمور، ولكن بلا بشر أو مخلوقات حية من أي نوع.

فقط كميات هائلة من غبار الجثث كان يغلف كل شيء.

كل وسائل البحث ومحاولات الاتصال بناجين لم تفلح طوال عام كامل، لقد تلاشى الجنس البشري من الوجود تماماً، ولم يتبق إلا مومياوات المتاحف التي نجت بطريقةٍ ما غامضة.

وطاقم السفينة الفضائية (رعد٢) ذلك الطاقم المكون كله من الرجال، والذي لم يحتو حواءً واحدة تجدد الأمل في عودة الجنس البشري للحياة.

واي فاي

– هل لديك تعريف مختصر للمعرفة؟

– المعرفة قاتلة.

* * *

عندما قتلت زوجها ودفنت جثته المقطعة في حديقة الفيلا؛ كانت على يقين كامل بأنها أتمت الجريمة الكاملة التي لا يؤمن أحد بحدوثها، فلا شهود ولا آثار ولا دماء ولا جثة.

ولكن عندما ظهر ذلك الشاب المريب والذي يقف لليلة الثالثة على التوالي بجوار السور الأمامي للفيلا؛ بدأت تشعر بالقلق والشك.

ذلك الأحمق كان يقف بجوار السور راسمًا على وجهه الاستغراق في العبث على هاتفه المحمول، وكأنه يبلغ شخصًا آخرًا بالتطورات.

إنه يراقبها الآن، ثم سيبتزها لاحقًا.

كان عليها أن تتحرك وأن تعد خطتها لتتخلص منه هو الآخر.

لا يمكن أن تطيعه في ابتزازه؛ فالمبتزون لا يشبعون ولا يتوقفون أبداً.

ولذلك فإنها وضعت خطتها لتتخلص منه في الليلة التالية؛ إنها رياضية وحفرة أخرى لن تكلفها إلا بعض الجهد. فقط عليها أن تجتذبه للداخل.

وبالفعل لم يتحمل الشاب أنوثتها المتفجرة التي كشف عنها قميصها المنزلي العاري، وظل فاغراً فاه وهو يتبعها لداخل الفيلا بحجة أنه سيساعدها في حمل بعض الأشياء، وبداخله كان يأمل في ليلةٍ استثنائية لا تنتهي إلا في صباح اليوم التالي. ومع غنجها ودلالها؛ لم يتحرج في النظر إليها.. فلم يرفع عيناه عن جسدها لحظة واحدة وهو يتفرسها بكل وقاحة.

وعندما حمل تلك الحقيبة الصغيرة التي أشارت إليه ليحملها ويتقدمها؛ أدرك أن لديها غرضاً آخر من اصطحابها له داخل فيلتها، وهذا الغرض يتماشى مع أفكاره الساخنة. خاصة وأن وزن الحقيبة لا يتجاوز الكيلو جرامين.

تقدمها صوب غرفة داخلية فرشت أرضيتها بالمشمع كما تغطى به أثاثها، وقد علت وجهه ابتسامة شهوانية. وعندما هم بالاستدارة؛ لينهي هذه المسرحية وينال غرضه.. شعر بالضربة الهائلة

تهوي على رأسه وترج مخه بعنفٍ ليسقط فاقداً للوعي لفترة غير معلومة.

عندما استيقظ من غيبوبته اتسعت عيناه دهشة، وهو يتطلع إلى تلك الفاتنة التي جلست أمامه في ردائها المنزلي المثير؛ تحمل ساطوراً كبيراً حاداً وتحركه أمام عينيه في أريحية وهدوء. لم يصدق ما يراه ولم يفهمه، وعندما أتى صوتها الصارم لم يستوعب سؤالها:

– كيف رأيتني وأنا أقتله؟.. لقد اتخذت كافة احتياطاتي.

رمقها بعدم فهم، وهو ينظر للساطور في رهبةٍ قبل أن يقول:

– إنني لم أر شيئًا، ولم أعرف شيئًا.

لوحت بالساطور أمام وجه في تهديد قبل أن تقول في غضب:

– لماذا إذاً تقف بجوار سور الفيلا طوال الثلاثة أيام السابقة، هل تظنني حمقاء؟

شعر بالدماء تصعد لرأسه، والقيود تؤلمه قبل أن يجيب:



انكسار الزمن

– كيف تتهاوى الصروح العملاقة؟

– من خطأ بسيط في الأساس.

* * *

انطلق بسيارته الفارهة رباعية الدفع بسرعة رهيبة؛ يقطع المسافة الفاصلة بينه وبين المختبر الزمني الرئيسي بقلب القاعدة السرية (فجرا) وقلبه يخفق بقوةٍ حتى ليكاد يتوقف. فما سمعه عبر هاتف النبضات العقلي من مساعدته (مروة) يكاد أن يجن جنونه، ويوحي بفشل مشروعه العملاق والذي تساهم فيه ثلاث من الشركات الدولية العملاقة حكام المستقبل الجدد.

لقد أنفق ميزانية فادحة تتجاوز ميزانية دولة كبرى في ثلاث سنوات خلال العقد الأخير من أبحاثه، ثم ينهار كل هذا بسبب قصور كهربي بسيط في الدوائر الرئيسية.

كيف يمكن أن يحدث هذا، بل كيف يعقل هذا؟!.. ومن سمح بهذا التقصير السخيف الذي سيطيح بكل شيء؟!

هز رأسه بعنف وهو ينطلق في مسار الطوارئ الخاص عبر أحد الأنفاق السرية المعدة لعمليات الإجلاء الكبرى. في حالة استهداف العاصمة بهجوم ما عن طريق أحد أسلحة الدمار الشامل بإذن خاص من مدير مركز الأبحاث ليختصر الزمن.

فلكل جزء من الثانية قيمته الآن.

الزمن..!!

إن كل أبحاثة الأخيرة تدور في هذا الفلك الشائك، ولقد أوشك بالفعل على صنع أول بوابة زمنية تربط الحاضر بالمستقبل.. أبحاثه بالنسبة للماضي تلقى صعوبات كثيرة، وكأن المعادلات الخاصة بالسفر إلى الماضي لا تناسبها القوانين الفيزيائية الحالية وتحتاج لقوانين فيزيائية جديدة.

الآن مجهود السنوات الأخيرة كلها يكاد يطيح به شيء تافه.. مجرد قصور كهربي في بعض الدوائر.

في الأوضاع العادية؛ يمكن استبدال كل ما يتلف من قطع بسهولة وعن طريق آلية دقيقة ومتقدمة لا تسمح بأي أخطاء. هذا في الأوضاع العادية؛ أما الآن وفي خضم تشغيل البوابة الزمنية واختراق المجرى الزمني المستقبلي وقيام المسبار الزمني باكتشاف الجانب الآخر، فما هي التغيرات التي

ستصيب مجرى الزمن؟.. وكيف يمكن احتواؤها قبل أن تتسبب في انهيار الخط الزمني بالكامل.

إنها كارثة كبرى...

كارثة بكل المقاييس.

ومسؤولية هذا الأمر تقع على عاتقه وحده، فهو المسؤول الأول عن المشروع كما أكد لرئيسة الدولة منذ ساعة واحدة فقط، وهو يسلمها التقرير المعتاد ويخبرها بتطورات الأمر .

إنه لن يسمح للأمر بالفشل هذه المرة.

فالفشل سيعني فناء البشرية الحالية بالكامل، وربما يتم استبدالها أو لا يتم ببشر آخرين.

لا أحد يعرف تأثير العبث في المجرى الزمني.. كل ما يملكه من تصورات لا يتعدى كونه نظريات لا تطبيق لها.

لقد خاضوا في المجهول دون أن يتسلحوا بالسلاح الرادع.

المعلومات.

أثار هذا الأمر حنقه لأقصى مدى، فزاد من ضغط دواسة الوقود لأقصى حد، فقد أخبرته (مروة) أن المسبار لم يعد يرسل أي معلومات، وأن أجهزة القياس الزمنية تظهر وجود خلل متنامي في المجرى الزمني، وأن هذه الأجهزة لن تصمد لوقت كافٍ.

لذا فإنه عند وصوله لبوابة القاعدة العسكرية؛ كان بانتظاره سيارة داخلية فائقة السرعة قادته في لحظات عبر الممرات المتشابكة إلى حيث المعمل السري، وهناك كانت تنتظره مفاجأة مخيفة.

مفاجأة تنذر بكارثةٍ أخرى.

* * *

ما رأته عيناه كان رهيبًا، فالبوابة الزمنية تعمل بكامل طاقتها بعد أن تم استبدال الدارات المحترقة التي تسببت في القصور الكهربي بدارات أخرى جديدة عن طريق الإصلاح الذاتي، ولكن هذا لم يصلح الخطأ الحادث.

ما زالت أجهزة القياس الزمني ترصد وتقيس متوالية الخلل المتصاعدة والتي أصبحت تقترب من كونها تتصاعد بمتوالية هندسية، وكأن ما يحدث هو انفجار زمني يوازي في قوته الانفجار الكوني

الأعظم والذي نشأت عنه المجرات والمجموعات الشمسية والنجوم والكواكب.

إن الزمن لا يتمدد أو ينكمش.

إنه ينكسر .

يهوي في قاعٍ كوني عنيف، وتأثيره لن يظهر قبل ساعات على الأقل.

لابد من معالجة هذا الخطأ.

ولكن كيف؟!

ثم إن هذه الهالة التي تتكون عبر البوابة لا تبشر بخيرٍ قادم.

(مروة) تخبره بأنها تشبه بوابة زمنية أخرى تتشكل في نفس موقع بوابتهم؛ إنها طيف شبحي أو ظل للبوابة الزمنية الحالية. وربما هي صورة معكوسة للبوابة الزمنية ناتجة عن الخلل الزمني المتنامي أو هي نفس البوابة في خط زمني آخر.. كل الاحتمالات مطروحة وممكنة ولكنها ليست دقيقة بدرجةٍ كافية.

جلس فوق مقعده المريح والذي احتوى جسده على الفور؛ شعر ببعض الراحة الجسدية ولكن

عقله كان يعمل ككمبيوتر هائل؛ يعيد ويراجع كل المعلومات.

وفي النهاية وضع رأسه بين كفيه، وهو يحدث نفسه:

– إن ما يحدث مخيف، وسابقة هي الأولى من نوعها في التاريخ.. اللحظات التالية ستعتمد على دقة حكمه على الأمور واستيعابه لكافة نظريات السفر عبر الزمن.

حتى ولو ثارت الدنيا كلها؛ كان عليه أن يهدأ.. لابد أن يسبق الخلل ويعالجه قبل أن يحتوي المجرى الزمني الحالي ويفنيه.

جز على أسنانه وهو يلوم نفسه، لم يكن عليه أن يبدأ هذه التجارب من البداية.. إن العبث في الزمن شيء خطير؛ خاصة بمثل هذه العلوم البشرية القاصرة.

هل سيأتي اليوم عليه الذي يردد تلك الصلاة الهندية التي رددها (روبرت اوبنهايمر) مخترع القنبلة الذرية، بعد نجاح تجربته الأولى؟.. هل سيردد المقولة الشهيرة؛

« أنا الموت،أنا مدمر العوالم»؟!..

الكون كله يقف الآن على الحافة؛ إنه يكاد يرى الموت يتجسد أمام عينيه ليشكره على الوليمة القادمة.

أدار كل الحلول في رأسه وعندما عجز؛ وقف في منتصف المعمل يجيل نظره في كل شيء دون هدف محدد.

الجميع ينظر نحوه بتحفز، والكل ينتظر قراراته من أجل أن تبدأ عملية إنقاذ الجنس البشري من الفناء في مجرى الزمن، وهو حتى هذه اللحظة لا يعرف حلًا أو وسيلة للنجاح.

* * *

خبط بقبضته فوق لوح هولوجرامي تفاعلي وكاد أن يسقط أرضًا؛ لولا أن منحته (مروة) قبضتها القوية ليستند عليها وهي تخبره بصوتٍ صارم؛ أنه الوحيد الغير مسموح له بالسقوط الآن.

يجب أن ينظر إلى الأمام بنظرةٍ فوقية نظرة مستقبلية؛ إنه الحاصل على جائزة نوبل للفيزياء وجائزة المجمع العربي للعلوم.. إنه من فتح أمام العالم أبواب المستقبل.

ظلت الكلمة الأخيرة تتردد بداخل عقله دون توقف.



حقيقتها، فقط يريد أن يعرف تأثيرها.

إن معامل الخطأ مهما كان ضئيلًا، فإن تأثيره على مجرى الزمن سيكون عاتيًا، وربما يسرع من عملية الانهيار والسقوط. إنه تأثير الفراشة اللعين.

لا لن يسمح لنفسه بالسقوط الآن؛ إن كلمات (مروة) تتردد في عقله وترشده.. إنها ملهمته الروحية وتعرفه أكثر من نفسه. لا يمكن أن يسقط أبدًا.

لذا وكمايسترو يقود فرقة موسيقية هائلة؛ بدأ يلقي تعليماته على حشد العلماء المتحفزين، والذين انطلقوا صوب أجهزتهم ليأتوه بكامل البيانات المتاحة عن البوابة الزمنية والبوابة الطيفية.

وكانت كل المعلومات المتاحة توحي بكونها مجرد طيف أو ظل للبوابة الزمنية. لا يوجد تأثير أو تداخل في الموجات، لا يوجد تأثير سلبي مرصود وهذا قد أراحه إلى حد ما.

الطريق نحو المستقبل مفتوح الآن، ولكن يجب أن يتم الأمر بسرعة؛ لأن الخلل وصل إلى مدى فادح قد لا ينجح أي جهد في إصلاحه إذا تأخر الوقت عن ذلك.

لذا قرر أن يخوض التجربة بنفسه رغم رفض الجميع، ولكنه أصر وأخبرهم أن العملية تحتاج لعالم وليس انتحاري؛ لذلك سيحمل معه كمبيوتر هولوجرامي متطور عليه كافة البيانات كي لا يضيع وقتهم في المستقبل، وسيذهب إلى هناك لطلب العون. الوقت لن يحتمل المجازفة والحلول الأمنية انتهى عصرها منذ زمن بعيد.

برغم الاعتراض الهائل الذي قوبل به الأمر في البداية؛ إلا أنهم خضعوا له جميعًا في النهاية.

فلا بديل عن المجازفة، فالخلل الزمني يتصاعد في كل لحظة. وبدأت ظلال بوابات شبحية أخرى تظهر في أماكن متعددة عبر العالم.

وفي النهاية؛ هاهو يرتدي حلة تشبه إلى حد ما حلة رواد الفضاء، ولكنها تحتوي أجهزة ملاحية مختلفة وكمبيوتر رصد متطور، ويستعد لعبور البوابة الزمنية كأول بشري يخترق حاجز الزمن في التاريخ؛ للقيام بالمهمة الأولى من نوعها.

إنقاذ الزمن نفسه.

* * *

العبور كان مؤلمًا وثقيلًا، وكأنه كان يمر من خلال قالب من الهلام متصل بتيارٍ كهربي عالي الفولت.

كل خلية في جسده تئن وتتألم.

جميع أجهزة الحلة التي يرتديها أصيبت بالخلل فاضطر لإغلاقها كي لا تتضرر أكثر، وفي داخله كان مؤمنًا بأن أي خلل أصيبت به الحلة سيستطيعون في المستقبل بتكنولوجيتهم المتطورة إصلاحه.. المهم أن يصل هو بسلام.

تقدم بصعوبة إلى الأمام وإلى حيث يمتد النفق الهلامي.

هناك ضوء في النهاية يجب أن يعبره.

المسبار الزمني لم يذكر أي شيء مما يمر به الآن.

لا يذكر أبدًا أي بيانات عن أي ضوء أو نفق خلف البوابة الزمنية.

لابد وأنه الخلل المرصود.

لا يهم الآن أي شيء، فقط ليعبر نحو المستقبل وستتحسن كل الأمور.

هاهو الضوء يقترب.

إنه بقلب الضوء الساطع الآن، والذي فشل المرشح الموجود في خوذته في الحد من قوته.

خطوة أخيرة.

إنه سيعبر الآن.

* * *

وقفت (مروة) أمام الكمبيوتر التفاعلي لترصد مع عيون العلماء القلقة؛ أول عملية عبور في التاريخ لبشري عبر نهر الزمن ونحو المستقبل. قلبها يخفق في عنف واضطراب، وذكريات كثيرة تتداعى إلى عقلها لا مجال لها الآن، ولكن العامل المشترك فيها هو وجه (سالم) المبتسم.

ف (سالم) الذي يعبر في حلته المتطورة نحو المستقبل لم يكن أستاذها فقط، بل كان حبيبها وكل دنيتها.

لقد اتفقا على إتمام مراسم الزواج بعد نجاح المشروع الحالي؛ لذا فقد كان ألمها مضاعفاً

وخوفها مزدوجًا.

ولكي تدفن تلك المشاعر المتدفقة التي تجتاح كيانها مع شعورها الهائل بالضياع والقلق؛ أخذت تتابع سيل المعلومات المتدفق أمامها في رهبة.

فبعد عبور (سالم) البوابة مباشرة انهالت كمية هائلة من المعلومات عبر أجهزة الاتصال المتطورة الملحقة بالحلة المجهزة، قبل أن تتشوش وينقطع الإرسال تمامًا.

ومع الانقطاع كاد قلبها أن يتوقف، ولكنها بدافع خوفها على (سالم) ومصير البشرية؛ تابعت في تركيز مجموعة الأجهزة الإلكترونية التي كانت أمامها، والتي شرعت تحلل البيانات وتقارنها بالنظريات الكثيرة التي احتوتها عقولها الإلكترونية في محاولة لسبر أغوار الخلل المتنامي دون جدوى.. فقط المزيد والمزيد من النظريات التي تلتهم بعضها.

يبدو أنه مازال أمام العقول الإلكترونية وقت طويل، قبل أن تتوصل لحقيقة الأمر .

ورغم ذلك لم يفت الأمر في عضدها، واستمرت تتابع البيانات وتناقش العلماء بعقلها، ولكن قلبها كان هناك.

مع سالم..

في أعماق المستقبل.

كل النقاشات والبيانات المتاحة لم تمنحها أو تمنح العلماء ولو لمحة من أمل.

كل النتائج كانت تصل للمجهول.

ولم يعد أمامهم إلا الصلاة والدعاة؛ كي ينجح (سالم) في مهمته.

وفي هذه الأثناء؛ دوت صافرة الإنذار من داخل الكمبيوتر الرئيسي، وبدأ وكأنما أصابه جنون مفاجئ. فأخذت معلومات غير مترابطة تتراص على الشاشات الهولوجرامية السابحة في فضاء المكان.

ولكن هذا لم يكن هو الشيء الوحيد المخيف، فما رصدته (مروة) بعد دقيقة كاملة ومعها فريق العلماء والعسكريين؛ كان ظهور (سالم) خارجًا من البوابة الشبحية إلى بعد آخر غير مرصود لتصيبهم صدمة مروعة.

وكانت هذه هي النهاية.

البوابة الزمنية الأصلية صنعت انكسارًا هائلًا في مجرى الزمن، وهاهي تلقى عصرها وكل العصور

الأخرى إلى المجهول.

وبعبور (سالم) البوابة؛ سمح للخلل الزمني أن يتفاقم أكثر وتحول الأمر كله إلى فخ زمني سيلتهم كل شيء .

لم يصل (سالم) إلى المستقبل، ولن يصل (سالم) إلى المستقبل.

لأنه لم يعد هناك مستقبل.

جنون

– هل تدري الفارق بين التعقل و الجنون؟

– التوقيت.

* * *

كانت تفكر في قضاء وقتٍ سعيد، كفاها ما ضاع من العمر بين جدران العادات والتقاليد، لقد صارت حياتها جافة ثقيلة الظل وعليها أن تقوم بشيء مجنون.

شيء خارج كل الحدود والأعراف.. شيء ستكسر به كل هذه القيود التي تكبلها كفتاة شرقية.

وهذه كانت الفكرة التي دارت في عقلها، فترجمتها على الفور إلى فعل. ففي هذه الليلة ستقضي ساعات الليل بين ذراعي رجل لا تعرفه.. ولن يقتصر الأمر على هذا فقط، بل وستترك له نفسها ليفعل بها ما يشاء، اليوم هي خارج حدود دنياها وخارج كل تعقل.

وهاهي ترتدي ثيابًا أقل ما يقال عنها فاضحة؛ تقف بجوار عمود الإنارة.. هكذا رأتهم يفعلون في الأفلام.

تركب سيارة أول من غازلها.

تخبره أن المقابل هو السعادة والتجديد، وأن ترى اليوم ما لم تره في حياتها.

وكان الرجل عند وعده.

فعندما دخلت غرفة نومه ذهلت من ديكورها الغريب ودهانها الأسود، لقد اختار لها الحظ هدية..

إن شيطان الجنون يبارك خطواتها.

كان الرجل الغامض ساديًا معها، وأذاقها من المتعة والألم ما جعلها تنسى الدنيا.

وعندما انتهى منها؛ لم تكن تعرف هل كان اللهيب المنبعث من عينيه لهيب حقيقي، أم كان انعكاسًا للمشاعل في الغرفة..

المهم أنها سعيدة.

لقد حطمت في ليلةٍ واحدة كل ما في حياتها من تابوهات، فقط ستستريح عدة ساعات قبل أن تغادر، لقد سحقها هذا المتوحش.. نظرت له ثم قالت بصوتٍ واهن:



– الآن تذوقين ما تمنيت رؤيته.

ودوت صرختها في المكان لترج كل شيء.

مايكرو فيكشن

– ١ –

استيقظ من نومه على طرقات خافتة على باب النافذة، وعندما فتح النافذة وجد المكانِ كله وقد خلا من المنازل والبشر، ثم وجد شبحًا مبتسمًا يتطلع نحوه ويقول بصوتٍ ودود:

– لم يتبق غيرك على الكوكب، ألن تغادر مثلهم؟

– ٢ –

الحقيقة أني لا أحب قبلات زوجي؛ لا أعرف كيف يطيق شخص ما أن يلتصق فمه بفم شخص آخر.. إنها عادة مقززة ومقيتة. ولأن رأسه صلب وأصر فلم يكن أمامي إلا أن أخيط شفتيه بعد أن أجهزت عليه بخمس طعنات نافذة..

وبرغم ذلك مازلت أستيقظ على ملمس تلك الشفاه المقززة التي تصر على الالتصاق بشفتيّ في الليالي المقمرة .

– ٣ –

غمر جثتها بالبنزين.. مزق صورة زفافهم؛ حطم كل أثاث المنزل. بعثر ما تبقى منه.. أحرق المنزل ونسي قبل أن يشعل الثقاب أن الباب مغلق من الداخل وهو لم يغادر بعد، مازال أحمقًا كما نعتته تلك الخائنة قبل أن يقتلها.

– ٤ –

أيقظت زوجها من نومه؛ أعدت له طعام الإفطار .. قبلته قبل أن يذهب إلى عمله. أخلت المائدة من أطباق الطعام وقررت أن ترتب غرفة النوم، وعندما عبرت بابها رأت زوجها ممدداً على فراشه ويغط في نومٍ عميق، وقبل أن تأتي بأي ردة فعل هلعة؛ سمعت صوت شبيه زوجها الذي غادر منذ دقائق، وهو يفتح باب الشقة عائداً ليسألها بصوتٍ مرتفع:

– لقد نسيت هاتفي.. ألا تعرفين أين وضعته؟

– ٥ –

ذهبت لتتسلم نتيجة التحاليل التي صممت حماتها أن تجريها قبل الزواج، وعندما رأتها الممرضة ابتسمت لها وهي تطلب الحلاوة، فقد أثبتت التحاليل أنها حامل وهي التي لم يمسسها بشر.. أما عن نتيجة السونار فكانت مذهلة

فبداخلها طفل مكتمل لا يتعدى حجمه قبضة اليد.

أما المخيف في صورة السونار المطبوعة هما القرنان العظميان اللذان ينبتان من رأس الجنين، وكان ما دار في رأسها وقتها، هل ستتقبل حماتها هذه النتائج وتتم الزواج؟!

– ٦ –

عندما هم بطعنها تذكر أن الغد هو عيد الحب، وأنها لم تحصل بعد على تلك الوردة الحمراء التي طلبتها منه ذات يوم؛ لتحبك مسرحية عشقها له.

نظر لوجهها الفاتن الغارق في النوم، ثم فكر قليلًا؛ كيف يمكن لمن تحمل هذا الوجه الملائكي أن تخون؟

اجتاحه غضب هادر فطعنها طعنة واحدة في قلبها القاسي الجاحد ليوقفه عن النبض إلى الأبد، وفوق قبرها وضع زهرة حمراء مفعمة بالأشواك، وهو يقول في غل:

– هابي فلانتين داي يا بيبي.

– ٧ –



– إنهم جنس عجيب، وأي مكان في الكون أرحم من هذا الكوكب البغيض.

– ١٠ –

لم أعرف ماذا أفعل لتلك المجنونة، كلما أخبرتها أن قلبي ينبض بحبها اقتلعته من صدري، وكلما أخبرتها أنها نور عينيّ أطفأت بداخلهم سيجارتها كي أحيا بنورها.. والآن أنا جائع لها، فماذا هي فاعلة؟

– ١١ –

عندما غضبت تلك الجنية من أطفالها؛ عاقبتهم بأن حولتهم لبشر.

– ١٢ –

عندما استيقظ من النوم.. كانت الرؤية غائمة وعقله مشوشًا ورأى بطرف عينيه ذلك الكيان الأسود يتوارى في الظلام. أحس بشعر جسده ينتصب وبكيانه يتوتر.. بحث في كل مكان دون جدوى، وعندما هم بالعودة إلى فراشه؛ وجد جسده ممدًا هناك، وعلى الوجه زرقة تعني باختصار أنه فارق الحياة.

وفي تلك اللحظة أدرك أنه رآه.

رأى ملك الموت.

–١٣–

كانت تحلم بليلة زفافها؛ لذلك تهيأت كأميرات الحكايات حتى أنها اندهشت من جمالها عندما وقع بصرها على المرآة، كانت تحلم بـ (نائل) إنه شاب فوق الرائع ومذهل ولا يمكن أن يكون بشريًّا عاديًّا.

ظلت تحلم حتى ضمتهم غرفة نوم واحدة بعد عرس أسطوري، وعندما ضمها لصدره قالت له: أنت ملاك.

نظر لها وابتسامة تغمر وجهه قبل أن ينزع ملابسه ليظهر الذيل المشقوق الذي خرج من مؤخرة ظهره ليتلوى دليلًا على السعادة؛ ليرد قائلًا:

– لا يوجد للملائكة ذيل مماثل، ولكني أعدك أنه بعد ليلتنا هذه سترينهم بعينك وهم يحملون روحك للعالم الآخر .

– ١٤ –

– صدقني يا (يوسف) إنها تأكل العظام.





–١٨–

تطفئ جميع أضواء المنزل، ثم تستلقي فوق الفراش لتستعد للنوم، وهنا يتسلل ضوء مصباح من أسفل الباب لا تعرف مصدره، وأنت في المنزل وحيداً.

– ١٩ –

الظلام دامس.. وهي تجلس وحيدة تتابع الفيس بوك على هاتفها المحمول.. لا توجد إلا إضاءة الشاشة الباهتة؛ تسمع ذلك الحفيف بدون تركيزٍ فتتجاهله.

صوت الريح الغريب.. حركة باب ما..

هل هناك من استيقظ؟!.. ترفع عينيها بحذر.. ثم فجأة تشعر بتيارٍ مفاجئ من الهواء البارد يمر خلف أذنيها.. اختنق صوتها وتوارت بداخل صدرها صرخة عجزت عن التعبير عن رعبها، ومن خلفها دوت الترانيم:

– ميلوك.. أنتيلوك.. بينحاس.. قادوم.

وبصوتٍ مضطرب رددت:

– لقد حضروا.

– ٢٠ –

عندما أغلقوا علي القبر ؛ لم يكن بمعلومهم أني مازلت حيّا، وأن قلبي لم يتوقف عن النبض بعد، ولكني برغم كل شيء استسلمت لمصيري.. وعندما أتوا من قلب الظلام لم يلتفت لي أي منهم فهم لا يرون إلا الأموات مثلهم، وظللت أنا وحيداً أنتظر أن يأتي الموت لأسعد بصحبتهم.

– ٢١ –

خطوات مسموعة تقترب من المكان.. تتوجس خيفة، تشعر بقلبك يقفز من داخل صدرك.. إنهم قادمون من أجلك بعد أن صدر حكم واجب النفاذ بالإعدام.

– ٢٢ –

نظر نحو الميكرسكوب الأيوني المتطور بنظرةٍ فاحصة، ثم رفت عيناه المشقوقتان طولياً؛ ليتحرك بعدها ذيله في حركةٍ دائرية تدل على الحيرة قبل أن يكتب في تقريره بلغته الغريبة:

– بعد فحص تلك الفيروسات الأرضية؛ وجدنا أنها تختلف عن كل الفيروسات الأخرى الموجودة في تلك المجرة القزمة وبأن فترة تكاثرها طويلة نسبيّاً،

ويحرصون على وضع أنسجة مختلفة فوق أجسادهم وبناء المساكن.. بل ولديهم أسلحة لو قيست بحجمهم الضئيل فهي فتاكة؛ إنها فيروسات ذكية ولكنها لاتقدم للكون أي فائدة ولا لنفسها؛ لذا ننصح بمحوها في حملة التطهير القادمة للمجرات وضمها للمخلوقات المنقرضة.

– ٢٣ –

بعد أن تناول نصف علبة السردين المعلب؛ اكتشف بالداخل بقايا رأس فأر حديث الولادة.

– ٢٤ –

كنت أدرك أنه صوت الراديو.. لذا لم ألتفت للصرخات.. إلا عندما تذكرت أنه ليس لدينا راديو في المنزل.. ناهيك عن أنه يعمل وحده بعد منتصف الليل.. فأنا أعيش وحيداً.

–٢٥–

تستيقظ من نومك لتجد كل من في المنزل قتلى، والدماء تغرق أرضيات البيت جميعها.. تهز رأسك تنظر حولك؛ إنه كابوس.

تضغط على نفسك لتستيقظ.. أنت تستيقظ بالفعل؛ لتجد كل من في المنزل قتلى والدماء تغرق أرضيات البيت جميعها، ولكنك هذه المرة تمسك في يدك سكينًا حادًّا غارق في الدماء، والأمر هذه المرة ليس مجرد كابوس.

– ٢٦ –

نظر إلى السماء؛ رأى النيزك الهائل المشتعل يقترب من الأرض، وكان من ضخامته واضحًا للعيان بدون الحاجة إلى تليسكوب معظم.. دوت الفكرة في رأسه، لقد استجاب اللّه لدعاء المصريين وها هي النهاية تقترب، ١،٢،٣.

وداعًا.

– ٢٧ –

انطفأت أضواء السيرك الرئيسية ليسود الظلام، ولكن الإزعاج لم يتوقف.. كان يريد أن ينام بشدة، لقد أنهكه العمل طوال اليوم من أجل انتزاع البسمة من رواد السيرك السمجين.

إنه المهرج ولكن من حقه أن ينام في هدوء.. وهؤلاء المزعجين؛ هم وحيواناتهم لا يتوقفون عن إصدار الضجيج.

لقد فاض به الكيل..

استل سكينه وبدأ في زيارة الخيام وأقفاص الحيوانات.. وكلما غادر خيمة أو قفص؛ كانت بقع الدماء المتناثرة فوق ثيابه تتضاعف ويتوقف بداخلها الضجيج..

وبعد ساعة كاملة كان قد أجهز على كل من بالسيرك، وتوقف بقلب الظلام يستمتع بالهدوء، الآن يستطيع أن ينام.

وعندما هم بدخول خيمته؛ سمع صوت مواء القطة فاستدار نحوها ورفع إصبعه أمام فمه وقال:

– هوووووووووووووس ..

ومن جسد القطة المطعون الغارق في الدماء والمسجاة أمام خيمته؛ سندرك جميعًا؛ أنها لم تصمت بسهولة.

– هووووووووووووس ..

أخبرها أنها لن تصلح لشخصٍ آخر بعد أن ينتهي منها، فلا توجد على وجه الأرض من ترفض رجلًا مثله.. كانت موثقة ومغمضة العينين فلم تميز إلا

صوت المنشار الكهربائي وهو يقترب من جسدها، دون أن تفهم طبيعة تهديده.

وبعد عدة دقائق من الألم والمعاناة؛ أدركت أن جسداً منزوع الأطراف لن يصلح لأي شخص، وليس للزواج فقط.

-٢٩-

عندما استحضرنا روح روبن ويليامز، وسألناه عن شعوره في تلك اللحظة التي نجح فيها في الانتحار شنقًا، بعد أن فشلت محاولة قطع شرايينه، وعبر لسان الوسيط أتتنا الإجابة الصادمة:

– كانت هي اللحظة الوحيدة السعيدة في حياتي..

– ٣٠ –

عندما قطعت شرايينها لتنتحر؛ تدفقت من شرايينها دماء خضراء لزجة.. أخذت تتجمع حتى شكلت ذلك المخلوق المخيف ذا الأنياب أمامها، وساعتها أدركت أن الموت لم يكن رغبتها أبداً ولكن ماذا تفعل وقد تحرر المخلوق من داخلها وهو جائع؟!

– ٣١ –

عندما أفتح الإنترنت وأجد تحذيراً من وزارة الاتصالات يخبرني أن ما أفعله غير قانوني، وأن الإنترنت للشركات والمؤسسات الرسمية، ولمن تجاوز الستين عاماً.

– ٣٢ –

يقولون أن أفضل أحذية هي المصنوعة من الجلد البشري، ولم يثني أحد بعد على الكعب المصنوع من العظام نفسها.

– ٣٣ –

أخبرني المتصل أن زوجتي التي تعمل في التمريض نقلت إلى مستشفى الأمراض العقلية.. ابتسمت حتى علمت من المتصل أنها هناك كنزيلة بعد أن فقدت عقلها.

– ٣٤ –

عندما بتروا ساقي اليمنى؛ لم يخبروني عن ذلك الشبح مبتور الساق الذي سيطاردني من أجل أن أعيد له ساقه.

– ٣٥ –

كنت أتمنى قبل أن ألفظ أنفاسي الأخيرة؛ لو بدلت طريقة انتحاري. فملمس الحبل الليفي مازال يزعجني حتى بعد موتي.

– ٣٦ –

نجح في تصوير ذلك القاتل الذي كان فأسه يطيح في هذه اللحظة برأس الخادمة وبصعوبة وثق مشهد قتل والديه، ولم يستطع أن ينكر أنه شعر بالغبطة وهو يشاهد النصل الحاد يحز رأس كلب أخيه الذي كان يكرهه بشدة قبل أن يجتث رأس أخيه من جذورها، وأبهجه نجاح الكاميرا برغم الإضاءة الضعيفة في رصد صعود ذلك القاتل للطابق الذي يختبئ فيه، لقد وثق الجريمة كاملة.

كان يشعر بالإثارة إلا أن فرحته لم تكتمل عندما شعر بالنصل البارد يزيل رأسه من فوق كتفيه، قبل أن يضغط زر الإرسال لينشره على صفحته على الفيس بوك، لقد فقد اليوم بحماقة ذلك القاتل معدلًا أسطوريًا من التعليقات ونقرات الإعجاب.

– ٣٧ –

عندما استيقظت في المقبرة غير واعية؛ كان كل همها أن تسكت تلك القطة التي تعوي في الخارج، وعندما أدركت أين هي؟.. وهي تجاهد لتفك قيود

كنت أتمنى قبل أن ألفظ أنفاسي الأخيرة؛ لو بدلت طريقة انتحاري. فملمس الحبل الليفي مازال يزعجني حتى بعد موتي.

– ٣٦ –

نجح في تصوير ذلك القاتل الذي كان فأسه يطيح في هذه اللحظة برأس الخادمة وبصعوبة وثق مشهد قتل والديه، ولم يستطع أن ينكر أنه شعر بالغبطة وهو يشاهد النصل الحاد يحز رأس كلب أخيه الذي كان يكرهه بشدة قبل أن يجتث رأس أخيه من جذورها، وأبهجه نجاح الكاميرا برغم الإضاءة الضعيفة في رصد صعود ذلك القاتل للطابق الذي يختبئ فيه، لقد وثق الجريمة كاملة.

كان يشعر بالإثارة إلا أن فرحته لم تكتمل عندما شعر بالنصل البارد يزيل رأسه من فوق كتفيه، قبل أن يضغط زر الإرسال لينشره على صفحته على الفيس بوك، لقد فقد اليوم بحماقة ذلك القاتل معدلًا أسطوريًا من التعليقات ونقرات الإعجاب.

– ٣٧ –

عندما استيقظت في المقبرة غير واعية؛ كان كل همها أن تسكت تلك القطة التي تعوي في الخارج، وعندما أدركت أين هي؟.. وهي تجاهد لتفك قيود

كفنها. كانت تستجدي القطة التي انصرفت أن تعود لعوائها، كي لا تبقى وحيدة وسط الظلام المخيف والبرد.

– ٣٨ –

أن تكتب نعي أحدهم أفضل من أن يكتب هو نعيك، والمشكلة أني أراه الآن يكتب نعيي، ويخطئ الأحمق في تهجئة اسمي.

– ٣٩ –

انتهينا من إعداد كل شيء لجلسة تحضير الأرواح.. شيء واحد لم نلتزم به وهو عدم القيام بها أمام المرآة، فلا يمكننا نزع مرآه الصالة العملاقة المثبتة في الجدار دون تهشيمها أو تشويهها.

أتممنا كامل الطقوس وانتظرنا أن تعلن الروح عن حضورها، وبالفعل تحرك المقعد المجاور لي.. لقد لمحته في المرآة. وعندما عدت له ببصري كان في موقعه.. في نفس اللحظة دوى الصوت المخيف:

– لا روح تحضر أمام مرآة.. أرواحكم هي التي ستأتي لي في العالم الآخر .

المفزع كان رؤيتي لسطح المرآة يتموج وجسدي وأجساد أصدقائي وقد افترشوا الأرض كالجثث، وذلك النفق الذي سحبت له أرواحنا والذي تنتظرنا في نهايته؛ أعين حمراء دموية عملاقة.

– ٤٠ –

ينزعج أبي دومًا من عدم دقتي، فدائمًا ما أخلط بين عظام الكتف وعظام الفخذ في تلك الطلبية التي أعدها لذلك المطعم الشهير في وسط المدينة، ولكن ماذا أفعل واللحم البشري يصير دومًا متشابهًا بعد سلخه وتقطيعه؟!

– ٤١ –

عندما دفنوني حيًّا؛ لم تثر الفكرة غضبي بقدر ما أفزعني تلك اليد العمياء التي كانت تتفحص أجزاء جسدي أسفل الكفن، وكأنها تحاول معرفة وزنها.

– ٤٢ –

قال بغضب:

– عندما يتوقف انعكاسك في المرآة عن تقليدك؛ عليك أن تغادر على الفور قبل أن يغضب ويعاقبك بسجنك داخل المرآة.

منحته نظرة حانقة، وأنا أنظر حولي لذلك المكعب الزجاجي الذي أحاط بي قبل أن أقول:

– متأخرة جدًا نصيحتك يا صديقي.. متأخرة جدًا.

– ٤٣ –

الجميع يخشون الزومبي بوجوههم المتآكلة وجلودهم المتساقطة ومشيتهم المتصلبة، ولكنهم يصرون على مواجهتهم.

كان هذا هو محتوى المقال الذي قرأته في تلك الجريدة اليومية التي تحكي قصة اجتياحنا للمدينة، وأنا أستعد لالتهام ذلك الطفل البشري الرضيع.

– ٤٤ –

أصابتني الدهشة؛ عندما وجدت أنهم أضافوا للفيس بوك خاصية جديدة تحدد موعد موتك.

والعجيب أن هذه الخاصية ظهرت عندي وحدي، ولم تظهر عند باقي الأصدقاء.

– ٤٥ –

كانت الرسالة الأخيرة التي تركتها زوجتي قبل وفاتها في ذلك الحادث:

– سأتركك اليوم، ولكني سأعود لو جرؤت وخنتني.

وفي ليلة زفافي أراها غاضبة؛ تحمل بين يديها بلطة غارقة في الأوحال، تحاول بها تهشيم الباب وهي لا تتوقف عن سبي.

والغريب أن زوجتي الثانية الحمقاء لا تراها أو تسمعها.

– ٤٦ –

لا تحب أختي أن تتناول لحومهم مشوية، وتفضل أن تضع إبرة حادة في مؤخرة عنقهم لتصيبهم بالشلل قبل أن تغمر أطرافهم في صندوق يطفح بالملح.. مع حرصها التام على أن تظل رؤوسهم بعيدة عن الملح وتحصل على تهوية جيدة؛ ليظلوا أحياءً لأطول مدة.

والظريف هو تلك التسمية التي تطلقها على وجبتها المفضلة من لحمهم الذي تقطعه طازجًا كل يوم؛ لحم بشري مملح.

– ٤٧ –

شعر بالخدر في كل جسده، ولكن حماسته التي عادت إليه فور أن استيقظ من غفوته الطويلة وعادت له ذاكرته، جعلته يقول لمن أيقظه:

– هل عثر الأطباء على علاج أخيرًا، كم مضى علي من سنوات مجمدًا؟!

وعندما لمح نظرات عدم الفهم مرتسمة على وجه من أيقظه ولا مبالاته؛ بدأ يشعر بالقلق ويتساءل بينه وبين نفسه عن رصيده البنكي، وهل كان كافيًا لتكاليف التجميد عبر تلك السنوات؟

أعاد سؤاله، فلم يحظ بإجابة شافية، فقط تعلقت عيناه بذلك الشخص السمين الذي عبر إلى المكان وفي يده ساطور حاد، ويبدو على وجهه الضيق وهو يقول:

– لقد فسد المنشار الكهربي، وستتم عملية الذبح اليوم بالطريقة التقليدية.. حاول ألا تهدر من لحمه أي شيء، فلم يتبق في القبو إلا عشرة صناديق والشتاء طويل.

عجز عن استيعاب ما يدور حوله لدقيقة كاملة، وعندما اقترب منه ذلك الشخص ليقرب الساطور من عنقه؛ كان التساؤل الذي دوى في رأسه:

– ماذا حدث للبشرية في المستقبل؟.. وما هو مصير زوجته التي صممت أن تصحبه في رحلته رغم أنها لم تعاني من أي مرض؟!

حز الساطور عنقه، وأتته الإجابة الهمجية على طبق من ذهب.

– ٤٨ –

أكثر شيء مزعج في الوجود؛ أن تراقب بعجز ذلك الممثل الذي يطل وجهه عبر التلفاز؛ ليضغط الريموت كنترول لإغلاقه فيصيبك التجمد أنت وأسرتك وحيوانك الأليف حتى يعد تشغيله مجدداً.

– ٤٩ –

أخبرني أن أكثر الرجال حماقة؛ من لا يرى انعكاس زوجته في المرآة ثم ينام بعمق جوارها.. فأخبرته أن الأكثر حماقة من يتزوج امرأة لها عين مشقوقة وذيل قصير، فابتسم وهو يخفي أنيابه الحادة عني.

– ٥٠ –

نصحتني أمي ألا أكلم الغرباء، وقد نفذت نصيحتها بدقة.. فقد ظللت على صمتي ولم أنطق بكلمة،

وذلك الشخص الغريب يسحبني إلى منزله مقيداً ويشحذ سكينه أمامي.

– ٥١ –

عندما أخبرتني زوجتي؛ أن اللحم المقدم لي هو لحم بشري في محاولة منها لإثارة اشمئزازي.

لم أستطع أن أفسد مزحتها الطريفة؛ لأخبرها أن اللحم البشري يجب أن يطهى على نارٍ هادئة ولفترة أطول ليصبح أشهى وألذ، لا كما تطهى الشاورما.

– ٥٢ –

حاول ذلك المزارع السمين أن يبدو ظريفًا وهو يحاول أن يثير فزع ابنه الذي لم يتجاوز العاشرة من العمر، مشيراً عبر النافذة إلى خيال المآتة المنتصب في منتصف الحقل قائلًا:

– هل تعرف ما يفعله خيال المآتة، بعد أن تخلد الطيور لأعشاشها؟

اتسعت عينا الطفل في فزع وهو يشير لشيء ما خلفه، فاستدار المزارع وجلًا ليجد خلفه خيال المآتة

مبتسماً، وفي يده بلطة تهوي نحو رأسه وهو يقول بصوتٍ ساخر:

– يقتل المزارعون الظرفاء اللذين يخيفون أطفالهم بقصص وهمية عن خيال المآتة.

– ٥٣ –

كان هناك حساب على الفيس بوك باسم أحد أبطال رواياتي الأخيرة؛ يشرح أفضل الطرق لقتلي دون أن يترك القاتل خلفه أي أثر.

– ٥٤ –

تقسم زوجتي على أن القميص الذي أرتديه لا رائحة له، وأنها قامت بغسله وتنظيفه عدة مرات؛ إلا أنني مازلت أشم رائحة التعفن ذاتها التي شممتها عندما نزعت قماش الكفن الذي صنع منه القميص عن تلك الجثة المتحللة.

– ٥٥ –

يقول أبي أنه لم يمت، فترد أمي بأنها قد سممته بنفسها.. لتقول أختي؛ أننا جميعاً احترقنا بعد أن فجر أخي المنزل بعد أن طعنته هي في ظهره. ما يثير غيظي أنه لا دور لي في هذه القصة.

– ٥٦ –

أتاني الاتصال من رقم هاتف قصير يحتوي على أربعة أصفار. وعندما أجبت؛ سمعت صوت الرصاصة والصوت يقول: طفلك الأول.

وفور عودتي من جنازة ابني الأكبر؛ أتاني الاتصال من رقم مشابه مكون من أربعة أرقام.. ثلاثة أصفار والرقم الأخير واحد.

فهل أجيب على المتصل؟

– ٥٧ –

هل يمكن أن تتحملي وقاحتي يا سيدتي وتخبرينني؛ لماذا تشقق جلد ساقيك، وما هذه الحراشيف الخضراء التي تظهر أسفله؟

– ٥٨ –

عندما رأيت رفاقي قتلى وأطرافي ممزقة بعد ذلك الانفجار الذي نتج عن تلك العبوة الناسفة البدائية التي كنت أهم بصنعها؛ كان كل ما جال في تفكيري وأنا في ذلك المكان المهجور؛ كيف سأمنع هذه الفئران من التهامي حيًّا.

– ٥٩ –

المرة الأولى في ضغط الزناد هي الأصعب، هكذا قلت لنفسي وأنا ألصق فوهة المسدس الباردة برأسي.

– ٦٠ –

لتعلم دائمًا أنك متى دخلت غرفتك وأويت لفراشك؛ أن هناك من ينتظر أن تعلن عن عدم رغبتك في الحياة لينال منك.

أما زالت ستائر غرفتك تهتز وحدها دون سبب واضح؟!

– ٦١ –

كان أجمل احتفال له بعيد ميلاده ال٤٩ أن عثر على تلك التعويذة التي ستعيده بالزمن خمسين عامًا للوراء؛ ليحضر زفاف والديه. كان يفكر في تلك الصورة الملونة التي سيحظى بها والديه عن يوم عرسهم بعد أن منعهم الفقر في الحصول على واحدة، وبالفعل لم يكذب خبرًا.. أعد المرآة والمزيج المطلوب وأخذ يردد النداء سبع مرات:

– أيها الشيطان، أمنحك سنين عمري مقابل تلك الصورة.

وفور انتهائه؛ بدأت هيئته الظاهرة في المرآة تنكمش، فشاهد نفسه في الأربعين من عمره ثم في الثلاثين، ثم في العشرين ثم في العاشرة، ثم سمع صوت موسيقى العرس و(الكليك) المميزة للكاميرا قبل أن يسود الظلام، ويظل وعيه هناك إلى الأبد.

– ٦٢ –

طوال شهر كامل ظل المذياع يحذرنا من ذلك القاتل الذي تخصص في قتل الشقراوات وحدهم.. مع نصائح للنساء بالحذر أثناء الخروج ليلًا وأن عليهم ألا يكونوا وحدهم، والأفضل لو قمن بصبغ شعورهن بلون آخر ليتجنبوا النصل البارد لذلك القاتل.

كانوا حمقى أكثر من اللازم، فها هو القاتل أمامي يخبرني أنه مل الشقراوات؛

وأنني الأولى في قائمته لذوات الأشعر الأسود.. كم أكره عدم الدقة في جمع المعلومات.

– ٦٣ –

دوت الجملة في رأسه:

– يجب أن يكون أداؤك حقيقي أو أقرب إلى الحقيقي؛ لتفوز بتصويت اللجنة في برنامج المواهب.

لذلك قرر أن يفاجئ اللجنة وينتزع إعجاب الجماهير .

وبالفعل أدى مشهداً مأساويّا، وفي نهايته حشا المسدس الذي يحمله بالطلقات، ثم رفعه إلى رأسه وهو يقول الجملة الختامية:

– من أجلك أموت يا سارة.

ثم قام بضغط الزناد ليتناثر عقله على خشبة المسرح.

والعجيب أن لجنة المسابقة، لم تصوت من أجل نجاحه.

عندما فاجأته هذه المرة وهو يحقن نفسه بالعقار، لم ينكر بل صرخ في وجهها قائلًا؛ أنه لا يمكن أن يواجه هذا العالم الكئيب بعقل واعٍ، وأن من يتزوجها لا يمكن أن تعيش حياة طبيعية.

لم ترد عليه، بل منحته نظرة كارهة وغادرت إلى غرفتها لتحقن نفسها بجرعة مضاعفة من ذلك

العقار التي كانت تلومه على تعاطيه، وما أن بدأ مفعوله معها حتى اندفعت خارج غرفتها لتلقي بنفسها في أحضان زوجها قائلة:

– كم أحبك يا يوسف، الحياة لا تحلو إلا بقربك.

كان العقار قد أتى مفعوله معه أيضًا ليرد عليها قائلًا:

– لا حياة إلا بوجودك يا حبيبتي.

وخلفهم دوى صوت التلفاز بالإعلان الجديد للعقار؛ واعداً بحياة لم تعد موجودة إلا في عالم الأحلام، أم ترى قال الأوهام!!

– ٦٥ –

تستيقظ من نومك؛ لتجد أن الجميع يحيطون بجسدك المسجى على الفراش، وأن الجميع لا يرون أنك استيقظت ويتحدثون عن موعد دفنك.

– ٦٦ –

تحسس تلك البثور التي ملأت وجهه قبل أن يصرخ في الطبيب غاضبًا:

– ما معنى أن هذه البثور هي العرض الجانبي الوحيد للدواء؟!.. لقد أفسدت وجهي.

نظر له الطبيب في لامبالاة قبل أن يقول في (الديكتافون) الموضوع على مكتبه:

– المريض التالي.

تحسس ذلك الغاضب بثور وجهه للمرة الأخيرة قبل أن يوجه حديثه للطبيب:

– لن يكون هناك مريض تالي.

نظر له الطبيب مستنكرًا قبل أن تجحظ عيناه من الرعب، وهو ينظر لفوهة المسدس الموجهة إليه، وصوت ذلك الرجل ذي البثور يخبره بمصيره:

– لن يوجد مريض تالي، فالعرض الجانبي الوحيد للقتل؛ أنه لا يمكن أن تموت مرة أخرى.

وضغط الزناد.

ما يثير غضبي بشدة؛ هو حماقة ذلك الطبيب الذي خرج من غرفة العمليات بوجه حزين؛ ليخبرني أن زوجتي ماتت وهي تلد طفلي.. وهي حماقة لا

معنى لها لأن زوجتي تم استئصال رحمها منذ عام كامل، وأنا لم أعد من سفري الذي زاد عن هذه المدة بعام كامل إلا الآن.

– ٦٨ –

رغم موت زوجتي منذ عدة أشهر؛ إلا أنها تعود دومًا في عطلة نهاية الأسبوع. ما أزعجني حقًا هذه المرة ليس رائحتها التي أصبحت لا تطاق، ولا الدود الذي بدأ يمرح في وجهها ليشوه جمالها، بل ذلك الهيكل العظمي الذي كان يتلصص علينا من خلف النافذة ونحن نتناول طعام العشاء.

– ٦٩ –

كان يجب عليك أن لا تتسلل من فراشك ليلًا لتخون زوجتك مع الخادمة وأنت لم تعرف بعد؛ لماذا مات أزواجها الثلاثة السابقون في ريعان شبابهم؟!.. خاصة وأنت تشاهد ظلها المنعكس على زجاج النافذة وهي تهوي بتلك المطرقة الثقيلة على مؤخرة رأسك.

– ٧٠ –

بعد عام من وفاته؛ عاد ليخبرهم أن القبر بدونهم موحش وبارد، واصطحبهم معه أحياءً مقيدين.

– ٧١ –

عرض زوجته للبيع كنوع من المداعبة الساخرة لها على موقع أوليكس، فهو أصبح يكرهها بشدة.. وعندما عرض أحدهم سعرًا ضخمًا لها؛ وافق وهو يضحك من أعماقه على غباء المشتري قبل أن يخلد للنوم ويرسل لها (اللينك).

وفي مساء اليوم التالي وعندما عاد من عمله؛ لمح تلك السيارة الكبيرة المغلقة ذات الرائحة الكريهة الواقفة أمام باب بيته.. نظر لها بتعجب ثم دخل المنزل ليفاجئه ذلك الضخم الذي هجم عليه وقيده بإحكام، وقبل أن يستوعب ما يجرى؛ لمح زوجته تمنح لذلك الضخم مظروفًا متخمًا بالأموال وهي تقول:

– هذا هو فرق السعر كما اتفقنا؛ بإمكانك أن تفعل به ما تشاء..

وحتى اللحظة التي وضعه فيها ذلك الضخم بداخل سيارته وأغلق بابها عليه، لم يفهم حقيقة ما يحدث.. ولكن عندما غادر السيارة بداخل ذلك الجراج القذر، ولمح غرفة العمليات البدائية الغارقة أرضيتها في الدماء؛ أدرك أن كراهيته لزوجته جعلته مجرد سلعة في سوق تجارة الأعضاء، وقبل أن يبدأ المخدر في مفعوله وبعد أن بدأ الجراح

النحيل في استخدام مشرطه الحاد لتجريده من أعضائه.. دوى السؤال المخيف في رأسه؛ كيف استطاعت زوجته أن تقنع ذلك الرجل الضخم بتعديل الصفقة؟!

– ٧٢ –

وضع وردة حمراء على قبرها.. بكاها قليلًا ثم عاد لمنزله الموحش.. كان يعلم جيداً أنه الوداع الأخير.. ولم يشعر براحة بعد أن حقق أمنيتها الأخيرة.

(أنا عاوزة وردة يا ابراهيم)

وعندما دخل إلى غرفته؛ وجد وردة حمراء ممزقة ومبعثرة.. وعلى المرآة التي طالما جلست أمامها تتزين له.. وجد عبارة مكتوبة بطلاء الشفاه الأحمر .

(الوردة بلاستك يا ابراهيم.. مش هتبطل سخافة.)

ساعتها لم يعرف؛ لماذا ارتجف جسده بهذه الطريقة المخيفة؟!.. خاصة وهو يسمع تلك الطرقات الغاضبة قادمة من خلف الجدران..

– ٧٣ –

عندما قطع ورقة الرزنامة (النتيجة) في اليوم الثالث عشر من شهر مايو.. وجد الورقة الرابعة عشرة

تخبره أن موعد موته في اليوم الأخير من الشهر..

وفي كل يوم وحتى نهاية الشهر .. كان يقطع الورقة الجديدة التي تكرر نفس التحذير.. حتى وصل لليوم الأخير وهو على يقين تام بأنه يقطف من سنوات عمره الضائعة مع كل ورقة عام أو يزيد..

وعندما انتزع الورقة الأخيرة.. وجد وجهًا كرتونيًا يبتسم له بسخرية وبخط زوجته الميتة كتبت أسفله عبارة مخيفة:

– لقد بدأ المرح يا عزيزي.

وفي هذه اللحظة؛ أيقن أنه لن ينجو من فعلته.. وأن زوجته التي قتلها.. قد عاد شبحها لينتقم.

– ٧٤ –

كان يعشقها بجنون، ولكنها كانت تصده وتحرجه على طول الخط.. مما جعله يلجأ برغم عدم اقتناعه إلى ذلك المشعوذ الشهير.. كانت طلبات المشعوذ فادحة!! فما كان الحصول على ضرس ميت حديث الدفن، ودماء حيض شابة بتول أصعبها.

والأفدح كان أجره.. هو لم يقتل من أجل جمع المبلغ بالطبع.. بل سرق وأحرق مكان عمله ليخفي جريمته.. وحظي في النهاية بكلمات العزيمة (التعويذة) والمكونات التي سيقوم بحرقها مع البخور..

وكانت هناك جريمة صغيرة إضافية أنه قام باختطاف حبيبته.. نعم تلك المذعورة المقيدة في ركن القبو هي حبيبته.. نعم ذوقه في النساء لا يعول عليه.. ولكنها من أربكت عقله واستولت على قلبه.

والآن هاهو يتذكر كلمات المشعوذ وهو يرسم النجمة الخماسية ويصنع حولها دائرة الحماية ويحرق المكونات التي مزجها مع البخور، ويردد الكلمات الثقيلة التي حفظها عن ظهر قلب وكلمات المشعوذ تمنحه أملًا لا ينتهي؛ قم بالعزيمة بشكل صحيح وستتعلق بك حبيبتك إلى الأبد..

ردد كلمات التعويذة ثلاث عشرة مرة.. ثم شعر بحضورهم..

كررها مرة أخرى ثم رآهم..

ثلاثة عشر شيطانًا يحيطون بمحبوبته البدينة..

ثلاثة عشر شيطانًا يحملونها ويتوجهون بها نحوه.

ثلاثة عشر شيطانًا يلفون يدها حول رقبته قبل أن تنطلق النار من بين أيديهم لتحرقها وتحرقه.. ليلتصق جلد يديها المنصهر بجلد عنقه ويتركونها لتهوي به أرضًا ليختنق..

ثلاثة عشر شيطانًا تماوجوا في الهواء قبل أن يتلاشوا ويتركونه يكافح كي يتنفس وكي يحمي عنقه من الكسر.

ثلاثة عشر شيطانًا علقوها في رقبته إلى الأبد.. ولم يعد يعرف كم سيصمد قبل أن تتهشم عنقه ويموت.. ليصدق كلام المشعوذ.. بأنها ستظل معلقة به إلى الأبد..

–٧٥–

سمع آخر بشري على سطح الأرض؛ طرقات على باب منزله وعندما فتح الباب لم يجد أحد.. أغلق الباب في إحباط ثم استدار ليفاجئه شبح زوجته المشوه الوجه، والتي ماتت نتيجة الانفجار النووي الأخير.. كانت تنظر نحوه في تضرع وهي تقول:

– أوحشتني.

تلفت حوله بعد أن قبض على سكين المطبخ الحادة التي كانت بجواره وهو يقول:

– اللعنة.. هل سأقضي ما تبقى لي من حياتي مطارداً من الأشباح؟!

وهنا سمع صوت زوجته المتحشرج يقول:

– ألم تتمنى ذات يوم مكان يجمعنا وحدنا .. الآن الكوكب كله لنا ..

وارتجف جسده في هلع.

نظرت للشرطي المتعجرف ثم قالت :

– أنت لا تريد أن توقظ زوجي.

نحاها الشرطي جانبًا ليفسح الطريق لنفسه وهو يقول:

– إنه متهم في جريمة قتل، وسيكون إيقاظه آخر ما يقلقه.

ردت عليه في عناد:

– أنت لا تريد أن توقظ زوجي.

تجاهلها ودخل غرفة نوم زوجها.. هز كتف الزوج في خشونة ليوقظه، فلم يشعر إلا وذلك الخنجر البارد ينغرس في صدره، وذلك النائم ينظر له شذراً وهو يقول في غضب:

– اللعنة.. ألا أستطيع أن أحظى ببعض النوم في بيتي؟!

وبعد عدة ساعات؛ أتى شرطي آخر ليستفسر عن الشرطي الأول وزوجها، فأخبرته الزوجة أنه نائم فنحاها جانبًا وقد بدا أنه مصر على إيقاظه، وبكل ما بداخلها من اضطراب قالت محذرة:

– أنت لا تريد أن توقظ زوجي.

تمّت بحمد اللّه

صدرَ للكاتب:

* نصف حياة – رواية

* أيام الرماد – رواية

* عزيف – رواية

* الاستدعاء الأخير – رواية

* سايكو – مجموعة قصصية

* شمس المعارف – رواية

* لقاء مع ميت– رواية

* أوديسا الظلام– رواية

* أحبك أكثر– رواية

* الطوطم– رواية

للتواصل مع الكاتب

E- mail: A_elmenofy@yahoo.com

سايكو ٢ – صدرَ للكاتب:

Facebook:
https://www.facebook.com/a.elmenofy?ref=tn_tnmn



noon publishing@yahoo.com
0235860372 - 01127772007